



اسم المقال: الاتصال الوجداني "دراسة تحليلية في منهج النبي "التربوي"

اسم الكاتب: أ.د. نصار أسعد نصار

رابط ثابت: <https://political-encyclopedia.org/library/10245>

تاريخ الاسترداد: 2026/07/09 13:54 +03

الموسوعة السياسية هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت. لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسية - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع <https://political-encyclopedia.org/terms-of-use>



الاتصال الوجداني

"دراسة تحليلية في منهج النبي " التربوي "

أ.د. نصار أسعد نصار¹

1. أستاذ دكتور - قسم علوم القرآن والحديث - كلية الشريعة - جامعة دمشق

المُلخَص:

للشخصية الإنسانية أربعة جوانب رئيسية: مادي يقابله روحي، وعقلي ويقابله وجداني، أمّا المادي، فيمثل مَرَكَب الشخصية وهيكلها الحامل، أمّا الرّوح، فمحركها ومصدر الحياة فيها، أمّا العقل، فالحاكم فيها وصاحب القرار، أمّا الوجدان، فأمين سرّها والمستشار فيها. ولا جُرم أكبر من خيانة المؤمن وغش المستشار. فإنّ أحسنَ توظيف الجانب الوجداني أسهم في بناء شخصية إيجابية، وإلا كان معول هدم وعنصر إفساد. وقد تجلّت في المنهج التربوي النبوي أرقى أشكال التّفعيل الوجداني وأروع صور التّفاعل.

الكلمات المفتاحية : الاتصال الوجداني، منهج النبي، التربوي.

تاريخ الإيداع: 2022/1/6

تاريخ القبول: 2022/11/22



حقوق النشر : جامعة دمشق -

سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق

النشر بموجب الترخيص

CC BY-NC-SA 04

Pedagogical methods of communication (emotional communication)

Prof: Nassar Asaad Nassar¹

1. Professor in the Department of Hadith and Quran Scienceskwh

Abstract:

Of the human personality aspects of the four major categories: physical offset by the spiritual, mental and emotional offset, and the material, represents a composite of personal and general structure, and the spirit, Vmahrkha and source of life, and mind, the ruler and the decision maker, and conscience, Famin pleased by the Chancellor. No offense greater than the betrayal of fiduciary fraud advisor. Employment, the best emotional side contributed to building a positive personality, and only the destructive element and an element of corruption. Has manifested itself in the educational curriculum, the Prophet, the most prestigious forms of activation, the finest emotion emotional pictures.

Keywords: The Method Of The Prophet, Educational Emotional Communication,

Received: 6/1/2022

Accepted: 22/11/2022



Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

المقدمة:

الاتصال الوجداني أحد ثلاثة أبحاث في طرق الاتصال التربوي في المنهج النبوي
أولها: الاتصال السمعي والبصري، وثانيها: الاتصال الفكري، وهذا ثالثها قصدت منها بيان منهج النبي التربوي في
الاتصال مع الآخرين؛ فمناهج التربية متعددة ومتنوعة، فمنها القديم والحديث، ومنها الموروث، ومنها الواصل. وتعيش
الأمة اليوم على مفترق طرق، بين مستغرب يدعو إلى نبذ الموروث الفكري، ومنغلق يرد كل وافد ويرفض كل جديد.
وإذا كانت الأمة اليوم تتلمس مسار نهضتها، فمن حماقة تجاهل تراثها الفكري وموروثها الحضاري، خاصة إذا كان
هذهي نبي معصوم؛ خرج في أقل من ربع قرن نماذج فريدة لا مثيل لها عبر التاريخ كله. ولإتمام ما سبق، أقدم هذا
البحث، مُتبعاً المنهج الاستقرائي والتحليلي.

ومما يجلي أهمية هذا البحث، وبيّن دور التفاعل الوجداني في التربية ما اتّسمت به مشاعر النبي، من تلبّ حيال
المدعوين، فقد كان يشق عليه ضررهم، وتَعْظُم رَغْبَتُهُ فِي إِبْصَالِ الْخَيْرِ إِلَيْهِمْ وَالرَّفْقَ بِهِمْ، وذلك كما أخبر رب العزة
عنه، بقوله: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة:128]
وكما عَظُم حزنه وأسفه على عدم الاستجابة لدعوته: {لَعَلَّكَ بِاِحْتِجَابِ النَّفْسِ الْأُولَى يَكُونُ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء:3] فقد كان يعظم
فرحه وسروره عند الإجابة. فعن أنس، قال: كَانَ غُلَامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ، فَمَرَضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ، يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ
رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمَ»، فَتَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطْعَمَ أَبَا الْقَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ، وَهُوَ يَقُولُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ». (1) وهذه المشاعر لم تكن نزوة عابرة، أو عَرَضاً حادئاً، بل كانت طبعاً أصيلاً فيه، وسجية
راسخة عنده، وعبر عن هذا المعنى هُنْدُ بْنُ أَبِي هَالَةَ ~ - وقد كان وصافاً - حيث قال في بيان صفته: «كَانَ
رَسُولُ اللَّهِ، مُتَوَاصِلَ الْأَحْزَانِ، دَائِمَ الْفِكْرَةِ، لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ». (2) وَلَمَّا سُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بِنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمَا عَنْ صِفَتِهِ، قَالَ: «إِنَّهُ لَمَوْصُوفٌ فِي التَّوَرَاتِ بِبَعْضِ صِفَتِهِ فِي الْقُرْآنِ... لَيْسَ بِفَطْرٍ وَلَا غَلِيظٍ، وَلَا سَخَابٍ فِي
الْأَسْوَاقِ، وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيْنَةِ السَّيْنَةَ، وَلَكِنْ يَغْفِرُ وَيَغْفِرُ». (3)

تعريف الاتصال الوجداني:

الاتصال الوجداني، مركبٌ وصفي، وطرفاه: الاتصال أولاً، ومن معانيه في اللغة: إقامةُ وُصْلَةٍ، أو إحداث تواصل مع
الآخر. يُقَالُ: بَيْنَهُمَا وُصْلَةٌ، وَزَانُ غُرْفَةٍ، أَي: اتَّصَلَ. وَكُلُّ شَيْءٍ اتَّصَلَ بِشَيْءٍ فَمَا بَيْنَهُمَا وُصْلَةٌ. وَتَوَصَّلَ إِلَيْهِ، أَي
تَلَطَّفَ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ. وَالتَّوَاصُلُ: ضِدُّ النَّصَارِمِ. (4) والوجداني ثانياً، نسبة إلى الوجدان، من: «وَجَدَ» والتي من
معانيها: وجد عليه وجداً وتوجدأ: حزن. وَوَجَدَ عَلَيْهِ مُوجِدَةً وَوَجِدَانًا: غَضِبَ عَلَيْهِ، وَمِنْهُ فِي الْحَدِيثِ: «فَلَا تَجِدْ عَلَيَّ
فِي نَفْسِكَ»، أَي لَا تَغْضَبْ. (5)

(1) البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُغْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الْإِسْلَامَ (1356).

(2) الشَّامِلُ لِلرَّمْذِيِّ (225) (ص90). وَمُصَدِّقُ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتْ الدَّوَابُّ وَالْغَرَائِثُ يَتَمَعَّنَ فِيهِ، فَأَنَا إِجْدٌ بِحُجْرَتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَمَحَّمُونَ فِيهِ». الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ الْإِنْتِهَاءِ عَنِ الْمَعَاصِي (6483). مُسْلِمٌ، وَاللَّفْظُ لَهُ، كِتَابُ الْفَضَائِلِ بَابُ شَفَقَتِهِ، عَلَى
أُمَّتِهِ وَمُبَالِغَتِهِ فِي تَخْذِيرِهِمْ بِمَا يَضُرُّهُمْ (2284).

(3) الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الْبُيُوعِ، بَابُ كِرَاهِيَةِ السَّخْبِ فِي السُّوقِ (2125).

(4) مَعْجَمُ دِيَوَانِ الْأَدَبِ (212/3). الصَّحَاحُ تَاجُ اللُّغَةِ وَصَحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ (1842/5).

(5) سِيَاقُ الْحَدِيثِ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ، فَقَالَ: «إِنِّي سَأَلْتُكَ فَمُسَدَّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ...». الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الْعِلْمِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْعِلْمِ (63).

وَوَجَدَ بِهَا: هَوَيْهَا. والوجد المحبة⁽¹⁾. وتواجد الشخص: أظهر من نفسه الوجد أو الحزن.⁽²⁾ والوجدان، عُرِفَ بأنه إحساس الباطن بما هو فيه. والوجدانيات: ما تكون مُدْرَكَةً بِالْحَوَاسِّ الْبَاطِنَةِ.⁽³⁾ ويُطلق في الفلسفة على ضربٍ من الحالات النفسية من حيث تأثرها باللذة أو الألم في مقابل حالات أخرى تمتاز بالإدراك والمعرفة.⁽⁴⁾ وعليه، فالوجدان ما يعتمل في النفس من مشاعر وانفعالات استجابة لمؤثرات خارجية.⁽⁵⁾ والاتصال الوجداني: مخاطبة الأحاسيس وإثارة المشاعر لدى المتلقين. وهو أحد طرق التواصل مع الآخر في المنهج التربوي النبوي، ويعني الأساليب المُفَعَّلة لمشاعر المتلقي العاطفية وانفعالاته النفسية. وإيجابية العلاقة أو سلبيتها بين المُعَلِّمِ والمُتَعَلِّمِ دور كبير في تنمية النشاط التفاعلي أو تنبيطه، وترشيده أو شططه.

ولمَّا للجانب العاطفي من أثر في توجيه السلوك وبناء الشخصية، أولاه القرآن الكريم والحديث الشريف عناية بالغة، قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ... يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ... يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ... [مريم: 42-45].⁽⁶⁾ وعن قَالَ الْعَرَبِيَّاتُ بِنِ سَارِيَةَ، قَالَ: «وَعَطْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ».⁽⁷⁾ وقد أشار القرآن إلى نُبلِ مشاعر النبي ﷺ ورهافة حسه حين ذكر إشفاقه وشدة حرصه على إيمان قومه: {فَلَعَلَّكَ بَاجِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا} [الكهف: 6]. وكان ﷺ يعامل أصحابه باللين والشفقة،⁽⁸⁾ ويستقبلهم بالابتسام والبشر، ويُمازحهم ويُلاطفهم، حتَّى يظن كل واحد منهم أنه الأقرب إليه. وكانت النتيجة أن بادلوهُ حُباً بحب، حتَّى كانوا يبتدرون أمره ويسارعون في خدمته، ويتمسحون بآثاره.⁽⁹⁾

وكان واحدهم يتمنى أن يفديه بأثمن ما يملك من نفسه وأهله وماله. والأمثلة في هذا كثيرة. ويمكن إجمال صور الاتصال الوجداني في أربعة مطالب، الأول تحفيز دوافع التعلُّم عند المتلقين. الثاني: مراعاة مشاعرهم، الثالث: الاهتمام بهم. الرابع: التعلُّم بالقُدوة.

(1) وعُرِفَ بأنه ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنع، وقيل هو بوق تلمع ثمَّ تخمد سريعاً. التعريفات (ص323). وقيل: حادب القلب من فرع أو غمٍّ، أو زُؤنة معني من أحوال الآخرة. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم (ص211).

(2) يُنظر: تهذيب اللغة (110/11). المحيط في اللغة (157/7). أساس البلاغة (320/2). شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم (7078/11). معجم اللغة العربية المعاصرة (2402/3).

(3) التعريفات (ص323). التوقيف على مهمات التعاريف (ص718).

(4) المعجم الوسيط (1013/2).

(5) المشاعر، من: حُبٍّ، وبغضٍ، وشفقة، وكراهية. والانفعالات، من: غضبٍ، وخوفٍ، وفرحٍ، وحزنٍ.

(6) فقال له: (يَا أَبَتِ)، فيه استعطاف، ولم يقل يا أبي، وقال: (مَا لَا يَسْمَعُ...) ولم يقل: لِمَ تَعْبُدُ الْحَشْبَ وَالْحَجْرَ. وقال: (إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ)، ولم يقل: إنك جاهلٌ ضالٌّ، وقال: (إِنِّي أَخَافُ)، عبَّرَ له بالخوف ولم يجزم له بالعذاب. وقال له: (أَنْ يَمَسَّكَ)، عبَّرَ بالمسِّ ولم يُعبِّرَ بالحقوق أو التزول. البحر المديد (224/4).

(7) الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (2676). ابن ماجه، كتاب الإيمان، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين (43). شعب الإيمان (7109).

(8) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ أَعْلَمُكُمْ، إِذَا ذَهَبَ أَحَدُكُمْ إِلَى الْحَلَاءِ فَلَا يَسْتَقْبِلُ الْقَبِيلَةَ وَلَا يَسْتَدِيرُهَا وَلَا يَسْتَنْجِحُ بِيَمِينِهِ». التَّسَالِي، الطهارة، التَّهَيُّ عَنِ الْإِسْطِطَابَةِ بِالرُّؤْيُ (40). سنن البيهقي (91/1).

(9) عَنْ أَبِي جَحْفَةَ ﷺ، قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ حَرَاءٍ مِنْ أَدَمَ، وَرَأَيْتُ بِرَأْسِهَا أَلْوَاحَ وَضُوءِ النَّبِيِّ ﷺ وَالنَّاسُ يَتَبَدَّرُونَ الْوَضُوءَ، فَمَنْ أَصَابَ مِنْهُ شَيْئًا تَمَسَّحَ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يُصَبِّ مِنْهُ شَيْئًا أَخَذَ مِنْ بَلَدِي يَدِ صَاحِبِهِ». البخاري، كتاب اللباس، باب الثَّيْبِ الْحُمْرَاءِ مِنْ أَدَمَ (5521). مسلم، كتاب الصلاة، باب سُتْرَةِ الْمُصَلِّي (1148).

المطلب الأول

تحفيز دوافع التعلّم

(حفز) الحاء والفاء والزاي، كلمة تدلّ على الحثّ وما قُرب منه،⁽¹⁾ فالحفّز، حثّك الشيء من خلفه سوفاً وغير سوفاً، حفّزه يحفّزه حفّراً،⁽²⁾ ايقل: حفزت القوس السهم، والليل يحفز النهار، وحفّزه إلى الأمر حثّه عليه.⁽³⁾ فالتحفيز: الحثّ والدفع إلى التعلّم أو الاكتساب.⁽⁴⁾ وله صورتان، الأولى: التحفيز بالتحفيز، والثانية: التشويق. الصورة الأولى: التعزيز.

التعزيز: من عزّ يعزّ عزاً وعزّة إذا قوي بعد ذلّة، وعزّرت القوم وأعزّرتهم وعزّرتهم، قويّتهم وشدّدتهم.⁽⁵⁾ فالتعزيز: تقوية العزيمة، وبعث الهمة على التعلّم والاكتساب. وقد يكون إيجابياً أو سلبياً.

• التعزيز الإيجابي: ويعني: إبداء الاستحسان على الإصابة في قول أو عمل؛ دفعا للاستزادة. ومن صورته:

- الثناء على الإصابة في الإجابة، من ذلك أنّ رسول الله ﷺ حين قال لأبيّ بن كعبٍ ~: «يا أبا المنذر أتدري أيّ آيةٍ من كتاب الله معك أعظم؟ قال: قلتُ لله لا إله إلا هو الحيّ القيوم. قال فضرب في صدري، وقال: والله ليبهتك العلم أبا المنذر». ⁽⁶⁾ أو الإصابة في بعضها، قال رسول الله ، في تعبير أبي بكر ~ لزويها رآها رجلاً: «أصببت بعضاً وأخطأت بعضاً». ⁽⁷⁾ وفي هذا إنصاف، ودفع للمزيد، وعدم تثبيط.
- استحسان فعل، فعن أبو موسى ~ قال: قدّمتُ على رسول الله ﷺ وهو بالبطحاء، فقال: «أحجبت؟ قلتُ نعم، قال بما أهلّنت؟ قلتُ لتيك بإهللٍ كإهلل النبي ﷺ، قال أحسنت». ⁽⁸⁾
- استحسان مقال، كما جرى مع أسماء بنت يزيد الأنصارية، وافدة النساء إلى رسول الله ﷺ، فبعد أن سمع مقالتها،⁽⁹⁾ قال: «هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مسألتها في أمر دينها من هذه؟ فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أنّ امرأة تهتدي إلى مثل هذا». ⁽¹⁾

(1) معجم مقاييس اللغة (85/2).

(2) لسان العرب (337/5).

(3) المعجم الوسيط (184/1).

(4) الفرق بين التحفيز والتعزيز، أنّ الأول فيه غلبة الجانب المادي، والثاني فيه غلبة الجانب المعنوي.

(5) وفي التنزيل العزيز: {فَعَزَّزْنَا بِبَالٍ} [يس:14] أي: قويّنا وشدّدنا، وأعزّه، وقواه وجعله عزيزاً، وأحبه وأكرمه. لسان العرب، (374/5). المعجم الوسيط (598/2).

(6) مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي (1921).

(7) قال ذلك في سياق حديث رواه ابن عباس ﷺ: أنّ رجلاً أتى رسول الله ، فقال: إنّي رأيت اللبلة في المنام ظلّة تنطفئ السمن والعسل، فأرى الناس يتكفّمون منها، فالتمسكتكثير والمستقل... فقال أبو بكر: يا رسول الله، والله لقد عني فأعبرها، فقال النبي : «اعبرها قال: أمّا الظلّة فالإسلام، وأمّا الذي ينطفئ من العسل والسمن فالقرآن، خلّوئته تنطفئ، فالتمسكتكثير من القرآن والمستقل... فأخبرني يا رسول الله، أصبت أم أخطأت. البخاري، كتاب التعبير، باب من لم ير الرؤيا لأول عابٍ إذا لم يصب (6639). مسلم، كتاب الرؤيا، باب في تأويل الرؤيا (6066).

(8) البخاري، كتاب الحج، باب الذبح قبل الحلق (1637). مسلم، كتاب الحج، باب في نسخ التحلل من الإحرام والأمر بالتمام (3016).

(9) ممّا جاء في حديثها، أنّها أتت النبي ، وهو بين أصحابه، فقالت: إنّي وافدة النساء إليك، وما من امرأة إلا وهي على مثل رأبي، إنّ الله يحنك بالحق إلى الرجال والنساء فأمّا بك وبإهلك الذي أرسلك، وإنّا معشر النساء معصوبات معصوبات، فواعد بيوتكم، ومفضى شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنكم معاشر الرجال فضلتكم علينا بالجمعة والجماعات، وعبادة المرحضى، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله، وإن الرجل منك إذا أخرج خالجا أو معتمرا ومرايطا حفظنا لكم أموالكم، وعزّنا لكم أئوانا، وربّنا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟ قال: قالت النبي : إلى أصحابه بوجهه كلّهم...

- التَّاءُ عَلَى حُسْنِ الْعَرَضِ وَأَهْمِيَةِ الْأَمْرِ الْمَعْرُوضِ. عَنْ سُؤْيِدِ بْنِ حُجَيْرٍ، أَنَّ خَالَه - صَخْرَ بْنَ الْقَعْقَاعِ - قَالَ: «قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ؟ فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ كُنْتُ أَوْجَزْتُ الْمَسْأَلَةَ، لَقَدْ عَظَّمْتَ وَأَطَوَّلْتَ». (2) وعن أبي أيوبٍ ~، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، بَعْدَ أَنْ سَأَلَهُ أَعْرَابِيٌّ عَنْ ذَلِكَ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ: «لَقَدْ وَفَّقَ، أَوْ لَقَدْ هُدِيَ». (3)

- الْحِضُّ عَلَى حِفْظِ الْعِلْمِ وَتَعْلِيمِ الْآخَرِينَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ فِدَ عَبْدُ الْقَيْسِ: «أَحْفَظُوهُ وَأَخْبِرُوهُ مِنْ وَرَاءَكُمْ». وَقَالَ مَالِكُ بْنُ الْحُوَيْرِثِ: قَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعُوا إِلَيَّ أَهْلِيكُمْ فَعَلَّمُوهُمْ». وَتَرَجَمَ لَهُ الْإِمَامُ الْبَخَارِيُّ: بَابَ تَحْرِيزِ النَّبِيِّ ﷺ وَفَدَّ عَبْدُ الْقَيْسِ عَلَى أَنْ يَحْفَظُوا الْإِيمَانَ وَالْعِلْمَ وَيُخْبِرُوا مَنْ وَرَاءَهُمْ. (4)

- الْاسْتِقْبَالَ بِالْبِشَاشَةِ وَالتَّرْحِيبِ، (5) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: إِنْ وَفَدَ عَبْدُ الْقَيْسِ أَتَوَا النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «مَنْ الْوَفْدُ أَوْ مَنْ الْقَوْمُ، قَالُوا رِبِيعَةٌ، فَقَالَ مَرْحَبًا بِالْقَوْمِ أَوْ بِالْوَفْدِ غَيْرَ خَزَائِيَا وَلَا نَدَامِي». (6)

- التَّاءُ عَلَى الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَسْجَّ عَبْدُ الْقَيْسِ: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُجِبُهُمَا اللَّهُ الْحِلْمَ وَالْأَنَاءَةَ». (7)

- التَّشْجِيعَ عَلَى التَّنَافُسِ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَارِثِ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصِفُ عَبْدَ اللَّهِ وَعَبِيدَ اللَّهِ وَكَثِيرًا بَنِي الْعَبَّاسِ، ثُمَّ يَقُولُ: مَنْ سَبَقَ إِلَيَّ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا. قَالَ فَيَسْتَبْفُونَ إِلَيْهِ فَيَفْعُونَ عَلَى ظَهْرِهِ وَصَدْرِهِ فَيَقْبَلُهُمْ وَيَلْزَمُهُمْ». (8)

- الْمُكَافَأَةَ عَلَى الْقِيَامِ بِعَمَلٍ، مِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ الْخَلَاءَ، فَوَضَعَتْ لَهُ وَضُوءًا قَالَ: مَنْ وَضَعَ هَذَا، فَأَخْبِرْ فَقَالَ: اللَّهُمَّ فَفِّهِهِ فِي الدِّينِ». (9)

(1) ثُمَّ قَالَ لَهَا: "انصربي أيتها المرأة، وأعلبي من خلقك من النساء أن أحسن تبعل إحدائكم لزوجها، وطبعتها مرضاته، وأتباعها مؤافقته تعدل ذلك كله". قَالَ: فَادَّيَّرَتْ الْمَرْأَةُ وَهِيَ تَهَلَّلُ وَتَكْبُرُ اسْتِشْشَارًا. شَعْبُ الْإِيمَانِ لِلْبَيْهَقِيِّ (ص: ١٢٤).

(2) وَتَمَّةُ الْحَدِيثِ: «أَقِمِ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ، وَأَدِّ الرَّجَاءَ الْمَفْرُوضَةَ، وَخُجِّ الْبَيْتَ، وَمَا أَحْبَبْتَ أَنْ يَفْعَلَهُ النَّاسُ بِكَ فَافْعَلْهُ بِحِمِّ، وَمَا كَرِهْتَ أَنْ يَفْعَلَهُ النَّاسُ بِكَ فَدَعِ النَّاسَ مِنْهُ». الْمَعْجَمُ الْكَبِيرُ (ص: ١٢٤) فِي إِسْنَادِهِ فِرْعَانُ بْنُ سُوَيْدٍ، وَتَفَعُّ بْنُ مَعِينٍ وَغَيْرُهُ، وَضَعَّفَهُ الْبَخَارِيُّ وَغَيْرُهُ. مَجْمَعُ الرُّوَايَةِ (ص: ١٢٤).

(3) مُسْلِمٌ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ الْإِيمَانِ الَّذِي يُدْخِلُ بِهِ الْجَنَّةَ وَأَنْ مَنْ تَمَسَّكَ بِمَا أَمَرَ بِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ (ص: ١٢٤).

(4) الْبَخَارِيُّ، كِتَابُ الْعِلْمِ، (ص: ١٢٤).

(5) قَالَ ابْنُ الْأَثِيرِ (ت: 606هـ): الْبِشُّ: فِرْحُ الصَّدِيقِ بِالصَّدِيقِ وَاللُّطْفُ فِي الْمَسْأَلَةِ وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ. وَهَذَا مَثَلٌ لِيَلْقِيَهُ إِثَاءَ بَهْرَةٍ وَتَقْرِيبِهِ وَإِكْرَامِهِ، وَمِنْهُ حَدِيثُ عَلِيِّ ﷺ: «إِذَا اجْتَمَعَ الْمُسْلِمَانِ فَتَذَاكَرَا غُفِرَ اللَّهُ لِأَمْرِهِمَا بِصَاحِبِهِ». وَبِشَاشَةُ الْوَلَاءِ: الْفِرْحُ بِالْمَرْءِ وَالْإِنْسِاطُ إِلَيْهِ وَالْأُنْسُ بِهِ. التَّهَاهِيَةُ فِي غَرِيبِ الْأَثَرِ (1/151). وَيُنْظَرُ: شَرْحُ صَحِيحِ الْبَخَارِيِّ لِابْنِ بَطَّالٍ (53/1). وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَحَبِّكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاحُكَ مِنْ دَوْلِكَ فِي دَوْلِ أَحَبِّكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ كُنْتُ لَكَ صَدَقَةً، وَإِمَاطَتُكَ الشُّوكَةَ وَالْحَجَرَ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ، وَإِزْشَادُكَ الصَّلَاةَ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ». التَّرْمِذِيُّ، وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِنَاعَةِ الْمَعْرُوفِ (1956). مَسْنَدُ الْبُرَّارِ، وَاللَّفْظُ لَهُ (4070).

(6) الْبَخَارِيُّ، كِتَابُ الْعِلْمِ، (ص: ١٢٤). (الْحَزَائِيَا)، جَمْعُ حَزْنَانٍ، كَحَزِينٍ وَحَيَارَى وَسَكْرَانٍ وَسَكَارَى وَالْحَزْنَانُ الْمُسْتَحْيِي. وَقِيلَ: الدَّلِيلُ الْمُهَانَ. (وَالنَّدَامِي)، قِيلَ: جَمْعُ نَدَامَانَ بِمَعْنَى نَادِمٍ... وَقِيلَ: جَمْعُ نَادِمٍ، وَكَانَ الْأَصْلُ "نَادِمِينَ" فَاتَّبَعَ الْحَزَائِيَا تَحْسِينًا لِلْكَلَامِ... وَمَعْنَاهُ: أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ تَأَخَّرَ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَلَا عِنَادًا، وَلَا أَصَابَكُمْ إِسَارَ وَلَا سَبَاءًا، وَلَا مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ بِمَا تَسْتَحْيُونَ بِسَبْبِهِ، أَوْ تَذَلُّونَ أَوْ تُهَانُونَ أَوْ تُنَادِمُونَ. شَرْحُ التَّوْوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ (187/1).

(7) مُسْلِمٌ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالِدُّعَاءِ إِلَيْهِ (126). قَالَ الْفَاضِلِيُّ عِيَّاضٌ: فَالْأَنَاءَةُ تَرْفُضُهُ حَتَّى نَظَرَ فِي مَصَالِحِهِ وَمَمَّ يَعْجَلُ، وَالْحِلْمُ هَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ الدَّالُّ عَلَى صِحَّةِ عَقْلِهِ، وَخُودَةٌ نَظَرُهُ لِلْعَوَاقِبِ. شَرْحُ التَّوْوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ (189/1).

(8) الْمَسْنَدُ (1836). قَالَ الْهَيْمِيُّ: فِيهِ يَزِيدُ بْنُ أَبِي زِيَادٍ، وَفِيهِ ضَعْفٌ، وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ: لَا أَعْلَمُ أَحَدًا تَرَكَ حَدِيثَهُ، وَغَيْرُهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ. وَرَوَى لَهُ مُسْلِمٌ مَقْرُونًا وَبِالْبَخَارِيِّ تَعْلِيقًا، وَبِقِيَّةِ رَجَالِهِ ثَقَاتٍ. مَجْمَعُ الرُّوَايَةِ (9352).

(9) الْبَخَارِيُّ، كِتَابُ الْوَضُوءِ، بَابُ وَضْعِ الْمَاءِ عِنْدَ الْخَلَاءِ (143). قَالَ التَّمِيمِيُّ: فِيهِ إِسْتِحْبَابُ الْمَكَافَأَةِ بِالِدُّعَاءِ. وَقَالَ ابْنُ الْمُبَرِّزِ (ت: 656هـ): مُنَاسَبَةُ الدُّعَاءِ لِابْنِ عَبَّاسٍ بِالتَّفَقُّهِ عَلَى وَضْعِهِ الْمَاءِ مِنْ جِهَةِ أَنَّهُ تَرَدَّدَ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أُمُورٍ: إِذَا أَنْ يَدْخُلَ إِلَيْهِ بِالْمَاءِ إِلَى الْخَلَاءِ، أَوْ يَضَعُهُ عَلَى الْبَابِ لِيَسْأُوْلَهُ مِنْ قُرْبٍ، أَوْ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا، فَرَأَى الثَّانِي أَوْفَقًا؛ لِأَنَّ فِي الْأَوَّلِ تَعَرُّضًا لِلطَّلَاعِ، وَالثَّلَاثِ يَسْتَدْعِي مَشَقَّةَ فِي طَلَبِ الْمَاءِ، وَالثَّانِي أَسْهَلُهَا، فَيَفْعَلُهُ يَدُلُّ عَلَى ذِكَايِهِ، فَنَاسَبَ أَنْ يَدْعُوَ لَهُ بِالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ لِيَخْصُلَ بِهِ التَّمَعُّعُ. فَضَحَ

- الملاطفة في الخطاب،⁽¹⁾ من ذلك مخاطبة رسول الله ' بِلَيْبَا أَيُّهَا الْمُرْمَلُ { [المزمل:1] وِبِلَيْبَا أَيُّهَا الْمُدَّثَّرُ { [المدثر:1] ففيه تأنيس وملاطفة لرسول الله ﷺ؛ ليستشعر أن الله ﷻ غير عاتبٍ عليه. كما فيه تنبيه -من جهة- لكل مُتْرَمِّلٍ راقِدٍ بالليل ليتنبه إلى ذكر الله؛⁽²⁾ لأنَّ الاسم المُشْتَقَّ من الفعل يشترك فيه المُخاطَبُ وكلَّ مَنْ اتصَفَ بتلك الصِّفَةِ،⁽³⁾ ولكلِّ مسلمٍ أن ينهض للدعوة معظماً الله ﷻ وحده فيها. ومنه مخاطبته ' علياً ﷺ، بقوله: «فم أبا ترابٍ فم أبا ترابٍ». ⁽⁴⁾ وحَدِيثُهُ بِنِ الْيَمَانِ ~ بعد أن أرسله لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ لِيَأْتِيَهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، بقوله: «فم يَا نَوْمَانُ». ⁽⁵⁾
- التَّحَبُّبُ إِلَى الْمُخاطَبِ، قَالَ مُعَاذُ ﷺ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ فَقَالَ: «إِنِّي لِأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ، فَقُلْتُ: وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «فَلَا تَدْعُ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلَاةٍ: رَبِّ أَعْنِي عَلَى نِكَرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ». ⁽⁶⁾
- التَّوَدُّدُ وَالإِشْفَاقُ عَلَيْهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ إِذَا أَتَيْتُمُ الْعَايِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقَبِيلَةَ وَلَا تَسْتَنْدِبُرُوهَا». ⁽⁷⁾ وَقَالَ لِأَنْسِيِّ ﷺ: «يَا بُنَيَّ». وَقَالَ لِلْمَغِيرَةِ بْنِ شَعْبَةَ ﷺ بعد إكثاره السؤال عن الدجال: «أَيُّ بُنَيَّ وَمَا يُصِيبُكَ مِنْهُ إِنَّهُ لَنْ يَصْرُكَ قَالَ قُلْتُ إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ مَعَهُ أَنْهَارَ الْمَاءِ وَجِبَالَ الْخُبْرِ قَالَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ». ⁽⁸⁾

الباري (244/1). والتَّيْمِيُّ: هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَضَائِيِّ الشَّافِعِيِّ (ت526هـ): له "التَّخْرِيرُ فِي شَرْحِ صَحِيحِ مُسْلِمٍ"، قِيلَ أَنَّهُ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ، الْمَلْبَقُ بِقَوْمِ السَّنَّةِ (ت535هـ) نَقَلَ عَنْهُ النَّوَوِيُّ فِي شَرْحِهِ لِمُسْلِمٍ، وَالْكَرْمَاتِيُّ فِي شَرْحِهِ لِلْبُخَارِيِّ.

⁽¹⁾ قَالَ الْإِمَامُ النَّوَوِيُّ (ت676هـ): وَمَنْ يَقُلْ: (إِلَى هِرْقُلَ فَحَقَطَ)، بَلَّ أَمَى بَنُوْعٍ مِنَ الْمَلَاظِقَةِ فَقَالَ: (عَظِيمِ الثُّومِ)، أَيُّ الَّذِي يُعْظَمُونَهُ وَيُتَدَمُّونَهُ، وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِنْفَةِ الْقَوْلِ لِمَنْ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ، فَقَالَ تَعَالَى: {أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}، وَقَالَ تَعَالَى: {فَقُولُوا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا}. شَرْحُ النَّوَوِيِّ عَلَى مُسْلِمٍ (1/226).

⁽²⁾ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ إِذَا قَصَدَتْ الْمَلَاظِقَةَ أَنْ تُسَمِّيَ الْمُخاطَبَ بِاسْمِ مُشْتَقٍّ مِنَ الْحَالَةِ الَّتِي هُوَ فِيهَا، فَلَوْ نَادَاهُ ﷺ وَهُوَ فِي تِلْكَ الْحَالِ مِنَ الْكَرْبِ بِاسْمِهِ أَوْ بِالْأَمْرِ الْمَجْدُ مِنْ هَذِهِ الْمَلَاظِقَةِ لِهَالَهُ ذَلِكَ، وَلَكِنْ لَمَّا بُدِيَ بِهَذَا الْخِطَابِ أُنْسِنَ وَعَلِمَ أَنَّ رَبَّهُ رَاضٍ عَنْهُ. أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ قَالَ عِنْدَمَا لَقِيَ مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ مِنْ شِبْدَةِ الْبَلَاءِ وَالْكَرْبِ مَا لَقِيَ: "رَبِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أَبَالِي" إِلَى آخِرِ الدَّعَاءِ، فَكَانَ مَطْلُوبُهُ رِضَا رَبِّهِ، وَبِهِ كَانَتْ تَحَوُّنٌ عَلَيْهِ الشَّدَائِدُ. الرُّوضُ الْأَنْفُ فِي شَرْحِ السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِابْنِ هِشَامٍ لِلتَّهْلِيكِيِّ (ت581هـ) (3/55).

⁽³⁾ التَّسْهِيلُ لِعُلُومِ التَّنْزِيلِ لِابْنِ جُزَيْ (2/422).

⁽⁴⁾ وَسِيَاقُ الْحَدِيثِ: قَالَ سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ: «جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي الْبَيْتِ فَقَالَ: «أَيْنَ ابْنُ عَمِّكَ؟ قَالَتْ: كَانَ بَيْتِي وَبَيْتُهُ شَيْءٌ فَعَاصَبَنِي فَخَرَجَ فَلَمْ يَبْقَا عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ أَنْظُرْ أَيْنَ هُوَ، فَجَاءَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُوَ فِي الْمَسْجِدِ زَائِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ بَيْتِهِ وَأَصَابَتْهُ تَرَابٌ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسُخُهُ عَنْهُ وَيَقُولُ...». الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ نَوْمِ الرِّجَالِ فِي الْمَسْجِدِ (430). مُسْلِمٌ، كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ ﷺ (6382). قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ (ت449هـ): وَمَسَحَ التَّرَابَ عَنْ ظَهْرِهِ لِيَسْطِطَهُ وَيَذْهَبَ غِيظَهُ وَتَسْكُنَ نَفْسَهُ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَعَاتِبْهُ عَلَى مَغَاضِبَتِهِ لِابْتِنَاهِ. شَرْحُ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ (9/353). وَكَمَا أَرَادَ ' الرَّفْقَ بِصَهْرِهِ وَالطَّافَةَ بِتَرْكِهِ مَعَاتِبَتَهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْهُ لِأَهْلِهِ. أَرَادَ اسْتِعْظَافَهَا عَلَيْهِ بِذِكْرِ الْقَرَابَةِ، بِقَوْلِهِ: (ابْنُ عَمِّكَ) وَلَمْ يَقُلْ: (زَوْجُكَ، أَوْ عَلِيٌّ). الْكَوَاكِبُ الدَّرَاوِي فِي شَرْحِ صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ شَمْسُ الدِّينِ الْكَرْمَاتِيُّ (ت786هـ) (4/101). التَّوْضِيحُ لِشَرْحِ الْجَامِعِ الصَّحِيحِ ابْنِ الْمَلِّينِ (ت804هـ) (29/135).

⁽⁵⁾ قَالَ ﷺ: «أَلَا رَجُلٌ يَا بُنَيَّ يَخْرُجُ الْقَوْمُ يَكُونُ مَعِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَمْ يُجِبْهُ مِمَّا أَحَدٌ مِمَّا أَتَى مِثْلَهُ ثُمَّ قَالَ: يَا حَدِيثُهُ ثُمَّ فَأْتِنَا بِخَيْرِ الْقَوْمِ... فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ أَصَابَنِي الْبُرْدُ حِينَ فَرَعْتُ وَفَرَزْتُ فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عِبَادَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى الصُّبْحِ فَلَمَّا أَنْ أَصْبَحْتُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: فَمُ يَا نَوْمَانُ». مُسْلِمٌ، كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ (474).

⁽⁶⁾ أَبُو دَاوُدَ، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ فِي الْإِسْتِغْفَارِ (1524). التَّسَانِيُّ، وَاللَّفْظُ لَهُ، كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ الدَّعَاءِ بَعْدَ الذِّكْرِ (1303).

⁽⁷⁾ ابْنُ مَاجَةَ، كِتَابُ الطَّهَارَةِ، بَابُ الْاسْتِحْجَاءِ بِالْحِجَارَةِ (313). الْمُسْنَدُ (7368).

⁽⁸⁾ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ الْحَدِيثَيْنِ، كِتَابُ الْأَدَابِ، بَابُ جَوَازِ قَوْلِهِ لِغَيْرِ ابْنِهِ يَا بُنَيَّ وَاسْتِحْبَابِهِ لِلْمَلَاظِقَةِ (2151-2152). قَالَ تَعَالَى: {وَإِذْ قَالَ لُثْمَانُ لِأَبِيهِ وَهُوَ يَعْطَلُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَكُلُّهُمُ عَظِيمٌ} [لقمان:13]. قَالَ الْأَلُوسِيُّ: يَا بُنَيَّ، تَصْغِيرُ إِشْفَاقِي وَوَحْيِي لَا تَصْغِيرُ تَحْقِيرِي. رُوحُ الْمَعَانِي (84/21). وَالتَّصَبُّبُ: التَّعَبُ. التَّهَابَةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ (140/5).

– المؤانسة؛⁽¹⁾ بقصد استمالة قلب المخاطب، كما في قصة ثمامة بن أثال، حيث سأله رسول الله ﷺ على مدى ثلاثة أيام: «مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟»⁽²⁾ فكانت إجابته في اليوم الثاني أقل حدة منها في اليوم الأول، وأشد من اليوم الثالث، وما كان سؤال رسول الله ﷺ له إلا لإزالة الوحشة من قلب أسير، موثق بالقيود، ومجهول المصير، فكان المال إعلان الإسلام طوعية.⁽³⁾ وخاصة أنها صدرت من كبير القوم.

• التعزيز السلبي:

مع أنه كان يشق عليه إيقاع الضرر بالخلق، وتغضب رغبته في إيصال الخير إليهم، إلا أنه كالطبيب المُنشَقِ والأب الرحيم، فريماً أقدم الأول على علاجات صعبة، والثاني على تأديبات شاقّة.⁽⁴⁾ وعليه فالتعزيز السلبي: إنكار خطأ، أو استهجان تصرف – تلميحاً أو تصريحاً – أو إيقاع عقاب؛ حملاً على الإصلاح وتغيير النهج. وتتعدد صورته، فمنها:

– الإعراض في كثير من المناسبات يكون لسان الحال أبلغ في التعبير من لسان المقال، كما في الإعراض عن المخطئ.⁽⁵⁾

– التحذير من القيام بفعل، ويكون بصيغة العموم حفاظاً على المشاعر: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِيَّاكُمْ وَالذُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَرَأَيْتَ الْحَمُو، قَالَ الْحَمُو الْمَوْتُ».⁽⁶⁾

(1) أنسه، مؤانسة لطفه وأزال وحشته فهو مؤانس. واستؤخس: وجد الوحشة، واستؤخس منه لم يأمن به فكان كالوَحْشِي. لسان العرب (368/6). القاموس المحيط (66/2). وهذا من الاستفهام المستعمل في الإنبا: وهو أن يؤانس المتكلم من مخاطبه، فيطرح عليه أسئلة يجزئ بما إلى الحدادته، مع أن المتكلم عالم بجواب أسئلته. مثاله قول الله ﷻ في ميثاً ما كلم الله به موسى في رحلة التكليم: ﴿وَمَا يَلِكُ يَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَنْوَكًا عَلَيْهَا وَأَهْمُسُ بِهَا عَلَى عَنِي وَيُ فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى { طه [17-18]}. البلاغة العربية، للشيخ عبد الرحمن حنينه الميداني (ص232).

(2) قال الإمام النووي: هذا من تأليف القلوب وملاطفة لمن يُرْجَى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير. شرح النووي على مسلم، (6/214). روى الحديث أبو هريرة رضي الله عنه، قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قبل نجد فجاءت برجل من بني خبيزة يقال له ثمامة بن أثال، فرتطوه بسارية من سوارى المسجد فخرج إليه النبي ﷺ فقال: «مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟» فقال: عندي خير يا محمد إن تفتلني تفتل ذا دم، وإن تُنعم تُنعم على شاكِر، وإن كُنت تريد المال فسل منه ما شئت، فترك حتى كان الغد ثم قال له: مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟ قال: مَا فَلتُ لك إن تُنعم تُنعم على شاكِر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟ فقال: عندي ما فَلتُ لك، فقال: أطلقوا ثمامة، فأنطلق إلى نخل قريب من المسجد فاعتسل ثم دخل المسجد، فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، يا محمد والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فمأدا تری؟ فبشّر رسول الله ﷺ وأمره أن يعتنم، فلما قدم مكة قال له قائل: صَبوت؟ قال لا ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتينكم من اليمامة حبة جنطية حتى يأذن فيها النبي ﷺ. البخاري، كتاب المغازي، باب وفد بني خبيزة وحديث ثمامة بن أثال (4114).

(3) قال الحافظ ابن حجر (ت852هـ): قوله: (عندي ما قلت لك) أي إن تُنعم، تُنعم على شاكِر؛ هكذا اقتصر في اليوم الثاني على أحد الشقين. وحذف الأمرين في اليوم الثالث... وذلك أنه قدم أول يوم أشق الأمرين عليه وأشفى الأمرين لصدر خصومه وهو القتل، فلما لم يقع اقتصر على ذكر الاستعطاف وطلب الإنعام في اليوم الثاني، فكأنه في اليوم الأول رأى أمارات الغضب فقدم ذكر القتل، فلما لم يقتله طمع في العفو فاقصر عليه، فلما لم يعمل شيئاً مما قال اقتصر في اليوم الثالث على الإجمال تفويضاً إلى جليل خلقه ﷺ. فتح الباري (88/8).

(4) ينظر: مفاتيح الغيب (16/177).

(5) قال أنس بن مالك خرج رسول الله ﷺ فرأى فئمة مشرفة فقال: «ما هذه؟» قال له أصحابه هذه لفلان، رجل من الأنصار، قال فسكت وحملها في نفسه حتى إذا جاء صاحبها رسول الله ﷺ يسلم عليه في الناس، أعرض عنه، صنع ذلك مزاراً حتى عرف الرجل الغضب فيه والإعراض عنه فشكا ذلك إلى أصحابه، فقال والله إلي لأنكر رسول الله ﷺ، قالوا خرج فرأى فئمة. قال فرجع الرجل إلى فئمة فهدمها حتى سواها بالأرض فخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فلم يرها، قال: ما فعلت الفئمة؟

قالوا شكنا إيتنا صاحبها إغراضك عنه فأخبرناه فهدمها، فقال: أما إن كل بناء وبنا على صاحبه إلا ما لا إلا ما لا. يعني ما لا بد منه». أبو داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في البناء (5239).

(6) عن عُثْبَةَ بنِ عامرٍ ~ البخاري، باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم والذخول على الميعة (4934). مسلم، كتاب الأدب، باب تحريم الخلو بالجنبة والذخول عليها. (5803).

– التائب على التصرف غير السديد، قال أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه: قَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ: «لَا أَكَادُ أَدْرِكُ الصَّلَاةَ مِمَّا يُطَوَّلُ بِنَا فُلَانٍ، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فِي مَوْعِظَةٍ أَشَدَّ غَضَبًا مِنْ يَوْمِذٍ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ مُنْقَرُونَ فَمَنْ صَلَّى بِالنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ فَإِنَّ فِيهِمُ الْمَرِيضَ وَالضَّعِيفَ وَدَا الْحَاجَةَ».(1)

– إظهار الغضب على الفعل الخطأ إشعاراً بفداحته، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ «رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ ، فِي أَمْرٍ فَتَنَرَهُ عَنْهُ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ فَلَبَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ، فَغَضِبَ حَتَّى بَانَ الْعَضْبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَرْعُبُونَ عَمَّا رُخِّصَ لِي فِيهِ فَوَاللَّهِ لَأَنَا أَعْلَمُهُمُ بِاللَّهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشِيَةً».(2)

– الدعاء على من بلغت أعمالهم غاية القبح، مبالغة في التحذير، ولا يخفى ما فيه من زجر، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : «رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ»(3) قِيلَ مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: مَنْ أَدْرَكَ وَالِدِيهِ عِنْدَ الْكِبَرِ أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ».(4) والدعاء يكون على غير معين كما كان يفعله الرسول ؛ رجاء أن الرجوع عن الغي، والستر وعدم الافتضاح.

– الضرب: يجوز اللجوء إلى الضرب بعد استنفاد السبل الأخرى،(5) فأخر الدواء الكي، لكن بشرطه، بأن يكون غير مُبرِّح، واتقاء الوجه، أو كسر العظم... قال النبي : «إِذَا ضَرَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْتَئِقِ الْوَجْهَ»(6) لأنَّ الوجه مجمعُ المحاسن، ومعقدُ العزِّ من الإنسان. وألا يصل إلى حدٍّ ينتج عنه عكس ما يُراد منه. قال أبو هريرة رضي الله عنه: «أَتَى النَّبِيَّ ، بِسَكَرَانَ فَأَمَرَ بِضَرْبِهِ فَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِيَدِهِ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِعِصَّةٍ وَمِنَّا مَنْ يَضْرِبُهُ بِتَوْبِيهِ فَلَمَّا انصَرَفَ قَالَ رَجُلٌ: مَا لَهُ أَخْزَاهُ اللَّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ : لا تَكُونُوا عَوْنًا لِلشَّيْطَانِ عَلَى أَحْيِكُمْ».(7) وفي هذا إشارة إلى عدم تجاوز الحد في العقوبة، أو التعدي فيها، كأن يكونوا عوناً للشيطان عليه حين دُعِيَ عليه بالخزي، بل أمروا أن يدعو له: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ»، بعد تبيته، وذلك بمواجهته بقيق فعله، فعندما أقبلوا عليه، قالوا له: «مَا اتَّقَيْتَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، مَا خَشِيتَ اللَّهَ جَلَّ تَعَالَى، مَا اسْتَحَيْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ،».(8)

(1) البخاري، كتاب العلم، باب العَصَبِ فِي الْمَوْعِظَةِ وَالتَّعْلِيمِ إِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ (88).

(2) مسلم، كتاب الفضائل، باب علمه صلى الله عليه وسلم بِاللَّهِ تَعَالَى وَشِدَّةَ خَشِيَتِهِ (6257).

(3) قال المناوي (ت1031هـ): كرهه ثلاثاً لزيادة التنفير والتحذير. فيض القدير (34/4). وقال أبو العباس القرطبي (ت656هـ): وهذا من النبي صلى الله عليه وسلم دعاء مؤكداً على من قصر في بر والديه. ويحتمل وجهين، أحدهما: أن يكون معناه: صرعه الله لأنه فاهلكه، وهذا إما يكون في حق من لم يقيم بما يجب عليه من برهما. وثانيهما: أن يكون معناه: أدله الله؛ لأن من ألقى أنفه – الذي هو أشرف أعضاء الوجه – بالثراب – الذي هو موطئ الأقدام وأحسن الأشياء – فقد انتهى من الدُّل إلى الغاية القصوى، وهذا يصلح أن يُدعى به على من فرط في تأكيدات المندوبات، ويصلح لمن فرط في الواجبات، وهو الظاهر، وتخصيصه عند الكبر بالذكر – وإن كان برهما واجباً على كل حال – إنما كان ذلك لشدة حاجتهما إليه، ولضعفهما عن القيام بكثير من مصالحهما، وليبادر الولد اغتنام فرصة برهما؛ لئلا تفوته بموتهما، فيندم على ذلك. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (4/1326).

(4) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب رَغِمَ أَنْفٌ مَنْ أَدْرَكَ أَيْتُوِيهِ... (6675). ومعنى رَغِمَ: ذَلَّ وَقِيلَ: خُرِي، وَهُوَ يَفْتَحُ الْعَيْنَ وَكَسْرَهَا، وَهُوَ الرُّغْمُ بِضَمِّ الرَّاءِ وَفَتْحِهَا وَكَسْرَهَا، وَأَصْلُهُ لَصِقَ أَنْفُهُ بِالرِّغَامِ، وَهُوَ تَرَابٌ مُخْتَلَطٌ بِرَمْلِ، وَقِيلَ: الرُّغْمُ كُلُّ مَا أَصَابَ الْأَنْفَ بِمَا يُؤْذِيهِ. شرح النووي على مسلم (16/108).

(5) قال صلى الله عليه وسلم: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاصْرِفْهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ». أبو داود، كتاب الصلاة، باب متى يؤمرُ العُلَامُ بِالصَّلَاةِ (495). المستدرک (1708/1). وأمر صلى الله عليه وسلم بِالضَّرْبِ لِعَشْرِ؛ لِأَنَّهُ حَدٌّ يُحْمَلُ فِيهِ الضَّرْبُ غَالِيًا، وَالْمُرَادُ بِالضَّرْبِ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ وَأَنْ يَبْقِيَ الْوَجْهَ فِي الضَّرْبِ. تحفة الأحمدي (2/270).

(6) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب التَّهْيِ عَنْ ضَرْبِ الْوَجْهِ (6819). وأبو داود، واللفظ له، كتاب الحدود، باب فِي ضَرْبِ الْوَجْهِ فِي الْحَدِّ (4493).

(7) البخاري، كتاب الحدود، باب ما يكره من لعن شارب الخمر (6283).

(8) الزيادة من أبي داود، كتاب الحدود، باب الحد في الخمر (3882). ينظر: فتح الباري (12/67).

الصورة الثانية: التشويق.

التشويق، من "شوق" الشين والواو والقاف، يدلُّ على تعلق الشيء بالشيء. فالتشويق: تهيُّج النفس أو تعلقها بشيء، والتشويق: تهيُّج النفس أو تعليقها بشيء حثًّا لها على طلبه.⁽¹⁾ ومن صورته:

— طرح سؤال بقصد الإرشاد، كقوله: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ، قَالُوا الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ...».⁽²⁾ قال الطَّبَّيِّ (ت743هـ): هذا سؤال إرشادٍ لا استعلام؛ ولذلك قال: إِنَّ الْمُفْلِسَ كَذَا وَكَذَا.⁽³⁾

— الوعد بإخبار بأمر، مثاله: ما رواه أبو سَعِيدِ ابْنِ الْمُعَلَّى رضي الله عنه: «...قَالَ لِي لِأَعْلَمَنَّكَ سُورَةَ هِيَ أَعْظَمُ السُّورِ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِنَّكَ قُلْتَ لِأَعْلَمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ، قَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيْتُهُ».⁽⁴⁾ فالوعد يُبَيِّرُ الفضول ويدفع لمعرفة الأمر الموعود، يدل عليه قوله ~: فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ، 'وفي رواية: فَذَهَبَ النَّبِيُّ، لِيَخْرُجَ، فَأَذْكَرْتُهُ».⁽⁵⁾

— الإخبار عن أمرٍ ذي بالٍ، قال أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: «كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ... فَتَبِعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ إِنِّي لَأَحِبُّتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أُدْخَلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا فَإِنِّي رَأَيْتُ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ...».⁽⁶⁾

⁽¹⁾ الشُّوقُ والاشْتِيَاءُ نَزَاغُ النَّفْسِ إِلَى الشَّيْءِ. وَيُقَالُ شَاقِي يَشُوقِي، وَلَا يَكُونُ إِلَّا عَنِ عُلُقٍ حُبٍّ. مَعْجَمُ مَقَائِسِ اللَّغَةِ (229/3). وَشَوْقُهُ فَتَشُوقُ، أَيُّ هَيَّجَ شَوْقُهُ. مَخْتَارُ الصَّحَاحِ (ص170). وَشَاقِي حُبُّهَا، وَذِكْرُهَا يَشُوقِي، أَيُّ: يَهَيِّجُ شَوْقِي. تَهْذِيبُ اللَّغَةِ (169/9). وَالشُّوقُ حَرَكَةُ الْهَوَى. لِسَانُ الْعَرَبِ (192/10).

⁽²⁾ مُسَلِّمٌ، عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ، كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَبِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ (6744).

⁽³⁾ شَرْحُ الْمَشْكَاءِ، الْكَاشِفُ عَنِ حَقَائِقِ السَّنَنِ (3255/10).

⁽⁴⁾ الْبِخَارِيُّ، كِتَابُ التَّفْسِيرِ، بَابُ وَثْمِيَّتِ أُمِّ الْكِتَابِ (4114).

⁽⁵⁾ ابْنُ مَاجَهَ، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ ثُؤَابِ الْقُرْآنِ (3785).

6- الْمَسْنَدُ، مَسْنَدُ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (12697).

المطلب الثاني:

مراعاة المشاعر والأحاسيس

عند النَّصْح والإرشاد ينبغي مراعاة مشاعر المتلقين النَّفسية، كي لا يحدث لديهم إحجامٌ ونفورٌ من المُعَلِّم؛ لأنَّ كلَّ فعل له ردُّ فعل، وعليه لا ينبغي أن يُواجه الشَّخصُ بما هو واقع فيه عياناً، أو الإشارة إلى الخطأ مباشرة، فالنَّصْح غير المباشر أوقع في النَّفس من المباشر. ومن صورته:

- التَّعريض وعدم الإفصاح، خاصَّة في المسائل الحرجة، عن السيِّدة عائشة: «أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ ' عَنِ الْخِيضِ، كَيْفَ تَغْتَسِلُ مِنْهُ... قَالَتْ عَائِشَةُ: فَعَرَفْتُ الَّذِي يُرِيدُ النَّبِيَّ ' فَجَدَّبْتُهَا إِلَيَّ فَعَلَّمْتُهَا». قال ابن حجر (ت852هـ): وفيه الاكتفاء بالتَّعريض والإشارة في الأمور المُستَهْجَنَة⁽¹⁾ وإذا اقتضى الأمر الإفصاح، وفيه ما يسوء صاحبه، تعيَّن إخفاؤه عن الآخرين.⁽²⁾

- تكليف من يقوم بالإرشاد، فقد يقتضي الحال أن يُكَلِّف المُعَلِّم من يقوم بالنَّصْح والتَّوجيهِ، تجنباً للحرج، قال ربعي بن خِرَاشٍ: حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ' وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَقَالَ: «أَلَيْحُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ' لِخَادِمِهِ: اخْرُجْ إِلَيَّ هَذَا فَعَلَّمَهُ اسْتِئْذَانَ، وَقُلْ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَدْخُلْ؟ فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَدْخُلْ؟ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ '، فَدَخَلَ».⁽³⁾ وعن أنس بن مالكٍ ؓ: دخل على النَّبِيِّ ' رَجُلٌ وَعَلَيْهِ صُفْرَةٌ، فَكَرِهَهَا، فَلَمَّا قَامَ الرَّجُلُ، قَالَ النَّبِيُّ ' لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: «لَوْ أَمَرْتُمْ هَذَا أَنْ يَدَعَ هَذِهِ الصُّفْرَةَ». قال أنسٌ ~: وَكَانَ النَّبِيُّ ' فَلَمَّا يُوَاجِهَ رَجُلًا بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ فِي وَجْهِهِ.⁽⁴⁾

- تعميم النَّصْح والإرشاد، تجنباً للإحراج: قَالَتِ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ: كَانَ النَّبِيُّ ' إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ الشَّيْءَ لَمْ يَقُلْ مَا بَالَ فُلَانٍ يَقُولُ، وَلَكِنْ يَقُولُ: «مَا بَالَ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا». ⁽⁵⁾ قال الإمام النَّوَوِيُّ (ت676هـ): كان النَّبِيُّ ' إِذَا كَرِهَ شَيْئًا فَخَطَبَ لَهُ، ذَكَرَ كَرَاهِيَتَهُ، وَلَا يُعَيِّنُ فَاعِلَهُ، وَهَذَا مِنْ عَظِيمِ خُلُقِهِ '، فَإِنَّ الْمُقْصُودَ مِنْ ذَلِكَ الشَّخْصَ وَجَمِيعَ الْحَاضِرِينَ وَغَيْرَهُمْ مِمَّنْ يَبْلُغُهُ ذَلِكَ، وَلَا يَحْصُلُ تَوْبِيخٌ صَاحِبِهِ فِي الْمَلَأِ.⁽⁶⁾

- القصد والاعتدال، والمراد منه: التَّوَسُّطُ فِي الْأُمُورِ بِلَا إِفْرَاطٍ أَوْ تَفْرِيطٍ، وَعَدَمُ مَجَاوِزَةِ الْحَدِّ، سِوَاءٍ فِي التَّعْلِيمِ أَوْ الْإِرْشَادِ أَوْ الْعِبَادَةِ أَوْ النَّصْحِ، فَعَن جَابِرٍ ~، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ '، قَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ: عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ، عَلَيْكُمْ بِالْقَصْدِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا». ⁽⁷⁾ وقصة الثلاثة الذين سألوا عن عبادة رسول الله ' وكانهم تقالُّوها مشهورة، وعدم قصدهم

(1) سبق تخريج الحديث. فتح الباري (1/416).

(2) قديم زُرارة بن عمرو التَّحَعِّي على النَّبِيِّ ' سنة تسع، فقال: يا رسول الله إني رأيتُ في طريقِ رُؤْيَا هالتي. قال ما هي؟ قال: رأيتُ أنا أنَا خَلَعْتُهَا فِي أَهْلِي وَلَدَتْ جَدِيًّا أَسْتَمِعُ أَحْوَى، وَرَأَيْتُ نَارًا خَرَجَتْ مِنَ الْأَرْضِ فَخَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ لِي يُقَالُ لَهُ عَمْرُو، وَهِيَ تَقُولُ: لَطْفِي لَطْفِي، بِصَبْرٍ وَأَعْمَى. فقال النَّبِيُّ ﷺ: هل خَلَعْتَ فِي أَهْلِكَ أُمَّةً مُسِيرَةً خَمَلًا. قال: نعم. قال: فقد وَلَدَتْ غُلَامًا، وَهُوَ ابْنُكَ. قال: فما بَالُهُ أَسْتَمِعُ أَحْوَى؟ أَدْنَى مِنِّي، أَيْكَ بَرَصٌ تَكْتُمُهُ؟ قال: والذي بعثك بالحق ما علمه أحدٌ قبلك. قال: فهو ذاك.... تاريخ المدينة النبوية (2/285). أسد الغابة (2/314). أسفح أحوى: أسود اللون مائل إلى الحمرة. معجم الرائد (ص108).

(3) أبو داود، كتاب الأدب، باب كيف الاستئذان (5177). مصنف ابن أبي شيبة، في الاستئذان (6/132).

(4) المسند (12573). الشَّامِلُ الْمَحْمُودِيَّة (347).

(5) أبو داود، كتاب الأدب، باب في حُسْنِ الْعِشْرَةِ (4788).

(6) شرح النَّوَوِيِّ (176/9). قال الخَطَّابِيُّ (ت388هـ): مَا كَانَ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُوَاجِهُهُمْ - أَيْ الْمُنَافِقِينَ - بِصَرِيحِ الْقَوْلِ، فَيَقُولُ: فُلَانٌ مُنَافِقٌ، وَإِنَّمَا كَانَ يُشِيرُ إِشَارَةً كَقَوْلِهِ ﷺ مَا بَالَ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا؟. شرح النَّوَوِيِّ (2/48).

(7) مسند أبي يعلى (1796). الفقيه والمتفقه (934).

واعتدالهم أوقعهم في الحرج فيما بعد. ومن صورته: الاقتصاد في الموعظة، وتجنب الإطالة؛ لئلا يؤدي إلى الضجر والملال، كما سبق في الحديث: «إِنَّ مِنْكُمْ مُتَفَرِّينَ»، إلا إذا اقتضى الحال،⁽¹⁾ قال عمرو بن أخطب رضي الله عنه: «صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْفَجْرَ وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَطَبْنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهُرُ فَتَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَطَبْنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ فَحَطَبْنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرْنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ فَأَعْلَمْنَا أَحْفَظْنَا». (2) وتحوّل الوقت المناسب للتعليم، باختيار أيام معينة وساعات محددة خشية السامة؛ لأنّ للنفوس إقبالا وإدبارا، وأشواقا ورجبات. قال ابن مسعود رضي الله عنه: «كَانَ النَّبِيُّ ، يَتَحَوَّلُ بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا». (3)

– الرّفق بالجاهل وعدم تثريبه: (4) يُعْطِي اللهُ ﷻ - كما أخبرنا رسوله - على الرّفق ما لا يُعْطَى عَلَى الْعُفْبِ. وَلَا يَكُونُ الرّفقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يَنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ. (5)

– والرّفق من شيم الفضلاء، خاصّة بالجاهل أو ضعيف الإيمان، كي لا ينفروا أو يعرضوا. روي عن رسول الله ، أنه قال: «عَلِّمُوا وَلَا تُعْنَفُوا، فَإِنَّ الْمَعْلَمَ خَيْرٌ مِنَ الْمُعْنَفِ». (6)

– من ذلك أنه عندما همّ بعض الصحابة النّيل من الأعرابي الذي بال في المسجد، قال لهم رسول الله : «لَا تُزْرِمُوهُ، ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصَبَّ عَلَيْهِ». (7) قال ابن بطّال (ت499هـ): فيه الرّفق بالجاهل والصفح والإغضاء عنه... وأمر أن لا يُهاج حتى يفرغ من بوله تأنيسا له ورفقا به. (8) وقال معاوية بن الحكم السلمي ~: «بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ، فَقُلْتُ: بَرَحَمَكَ اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ فَقُلْتُ وَأَتَكَلَّ أَمْيَاهُ مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَادِهِمْ فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمْتُونَ، لَكِنِّي سَكَتُ فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ، قَبَّأِي هُوَ وَأَمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللَّهِ مَا كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي وَلَا سَمَنِي». (9) قال الإمام

(1) قال الخطيب البغدادي (ت463هـ): وقد رخص في الإطالة إذا دعا إلى ذلك داع. الفقيه والمتفقه (935).

(2) مسلم، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب إختيار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة. (7449).

(3) البخاري، كتاب العلم، باب ما كان النبي ﷺ يتخوّم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا (66). مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الاقتصاد بالموعظة (5047). الترمذي، كتاب الأدب، باب ما جاء في الفصاحة والبيان (2782).

(4) الشّريب شبيه بالتفريع والتوبيخ، تقول: ونّجه وقرّعه وتثّره بما كان منه. معجم الفروق اللغوية (ص80).

(5) مجموع حديثين روتهما السيدة عائشة. مسلم، كتاب البرّ والصّلة والأدب، باب فضّل الرّفق (6766-6767). قال الحافظ: الرّفق، لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضدّ العنف. فتح الباري (10/449).

(6) قال السيوطي: أخرجه الحارث والطيالسي وابن عدى والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه. جامع الأحاديث (14/231). قال البيهقي: تفرد به حميد بن أبي سويد، وهو منكر الحديث. شعب الإيمان (1749). الفقيه والمتفقه (980) (8/2).

(7) البخاري، كتاب الأدب، باب الرّفق في الأمر كلّهُ (5679). مسلم، كتاب الطهارة، باب وُجوب غسل البؤل وغيره من النّجاسات (687). قال المهلب "وهو بن أبي صفرة الأندلسي (ت435هـ)، له شرح على صحيح البخاري: فيه الرّفق بالجاهل، لأنّه لو قطع عليه بوله لأصاب ثوبه البول وتنجس. شرح صحيح البخاري (327/1).

(8) شرح صحيح البخاري (9/226). قال الحافظ: وفيه الرّفق بالجاهل وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف إذا لم يكن ذلك منه عنادا، ولا سيّما إن كان ممن يحتاج إلى استيفاه. فتح الباري (1/325).

(9) وتتمة الحديث: «قَالَ: إِنَّ هَذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ إِذَا هُوَ التَّشْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ». مسلم، كتاب المساجد، باب تحريم الكلام في الصلاة (836). أبو داود، كتاب الصلاة، باب تشميت العاطس في الصلاة (795).

- النَّوويّ (ت676هـ): فيه بيانٌ ما كان عليه رسولُ الله ﷺ من عظيم الخلق الذي شهد الله تعالى له به، ورفقه بالجاهل ورأفته بأتمته وشفقته عليهم، وفيه التخلُّق بخُلُقهِ ' في الرِّفْق بالجاهل، وحسن تعليمه، واللِّطْف به، وتقريب الصَّواب إلى فهمه. (1)
- تجنب السَّخريّة: إنّ أيّ خطابٍ تضمّن سخريّة أو هُزأً من المُخاطب، قد يكون سبباً في نفوره، أو قطع الصَّلّة معه. قال جابر بن عبد الله ﷺ: «جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله ، فقال يا رسول الله: ثيابنا في الجَنّة ننسجها بأيدينا؟ فضحك القوم، فقال رسول الله : ممّ تضحكون؟ من جاهل يسأل عالماً؟ لا يا أعرابي، ولكنّها تشفق عنها ثمار الجَنّة». (2)
- تجنب التَّرويع أو التَّخويف: الشَّعور بالأمن وحصول الطمأنينة عامل مهم في التلقّي، قال جرير بن عبد الله: «أتى النَّبيُّ ' برجلٍ فكلمه فجعل يُرعدُ فرائضه، فقال له هوّن عليك فإنّما أنا ابنُ امرأةٍ من فُرَيْشٍ كانت تأكلُ القديدَ في هذه البطحاء. ثمّ تلا جريرٌ: [نحنُ أعلمُ بما يقولونَ وما أنت عليهم بجبارٍ فنذكرُ بالقرآنِ من يخافُ وعيدٍ] [ق: 45]. (3)
- تجنب الإهمال أو عدم الاكتراث. كان رسول الله ' يُقبلُ على أصحابه جميعاً، (4) حتّى يظنّ كلّ واحد أنّه الأحبُّ إلى قلبه؛ حفاظاً على مشاعرهم، ومنعاً من نشوء الكراهية والبغضاء، فعن عمرو بن العاص، قال: كان رسولُ الله ' يُقبلُ بوجهه وحديثه على أشرِّ القوم، يتألّفهم بذلك، فكان يُقبلُ بوجهه وحديثه عليّ، حتّى ظننتُ أنّي خيرُ القوم. (5)
- ومن هذا الباب ما قاله : «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى رجلان دون الآخر، حتّى تختلطوا بالناس، أجل أن يُخزئهم». (6)
- العناية بالضعفة: كان رسول الله ' يُبدي اهتماماً كبيراً بالضعفة وأصحاب الحالات الخاصّة؛ لتعويضهم عن الإحساس بالثَّقص، وإشعارهم بأنّ لهم مكانة في الإسلام. فعن سهل بن حنيفٍ ﷺ، قال: «كان رسولُ الله ' يأتي ضُعفاءَ المُسلمين، ويُرؤوهم ويعودُ مرضاهم، ويشهدُ جنازتهم». (7) وهذا زاهرٌ ~، وكان يُهدي للنبيّ ' الهدية من البادية، فيجهره رسولُ الله ' إذا أراد أن يخرج، وكان يقول: «إنّ زاهراً بأبيتنا ونحنُ حاضرتُهُ. وكان رجلاً دميماً، كان النبيّ ' يُحبه». (8)

(1) شرح النووي على صحيح مسلم (20/5).

(2) المعجم الصغير للطبراني (120). قال الهيثمي: رجاله رجال الصَّحيح، غير مجالد بن سعيدٍ وقد وثق. مجمع الزوائد (369/11). ورواه الإمام أحمد والبخاري، عن عبد الله بن عمرو، المسند (7095). مسند البزار (2434). قال الهيثمي: رواه البزار في حديث طويل ورجاله ثقات. مجمع الزوائد (369/11). قال الخطيب البغدادي: وإذا سألَ الفقيه سائلٌ عن مسألة أعجوبة، فلا ينبغي للأصحاب أن يضحكوا منه. وينبغي للمتعلِّمين ألا يردوا على من أخطأ بحضرة العالم، ويتركوا العالم حتّى يكون هو الذي يرد عليه. الفقيه والمتفقه (982).

(3) ابن ماجه، من طريق أبي مسعود، وفيه: (رُسْتُ بِمَلِكٍ) كتاب الأَصاحي، باب القديد (3312). المستدرک، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذَّهبي (3733).

(4) قال حبيب بن أبي ثابت: «من السُّنّة إذا حدّث الرجلُ القوم، أن يُقبلَ، عليهم جميعاً، ولا يُخصُّ أحداً دونَ أحدٍ». مسند ابن الجعد (556).

(5) السَّمائل المحمّدية (327) (ص196). قال الهيثمي: زوّد الطَّبراني، وإسناده حسنٌ. مجمع الزوائد (15/9). فقد وقع في نفس عمرو بن العاص لَمّا قرأه النَّبيُّ ' على الجيوش وفيهم أبو بكرٍ وعمرُ أنّه مُقدّمٌ عنده في المنزلة عليهم فسأله أيُّ النَّاس أحبُّ إليك. فتح الباري (7/26).

(6) البخاري، كتاب الاستئذان، باب إذا كانوا أكثر من ثلاثة فلا بأس بالمشاورة والمناجاة. (5932). مسلم، كتاب السلام، باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه (2184).

(7) المستدرک، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذَّهبي (3735).

(8) وتَمّة الحديث: «أتاه النَّبيُّ ﷺ وهو يبيع متاعه، فأحسنته من خلفه لا يُبصره الرجل، فقال: أزيان، من هذا؟ فعرف النَّبيُّ ﷺ، فجعل لا يألُو حتّى ألصق ظهره بطن النَّبيِّ حين عرفه، وجعل رسولُ الله ﷺ يقول: من يشترى العبد؟ فقال الرجل: يا رسولَ الله، إذا تجديني كاسيداً، فقال النَّبيُّ ﷺ: لكِنَّكَ عندَ الله ليس بكاسيدٍ، أو قال عندَ الله أنتَ عَالٍ». عن أنسٍ ﷺ، المسند (12669). مسند أبي يعلى (ص1/100). قال الهيثمي:

رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجال أحمد رجال الصَّحيح. مجمع الزوائد (ص1/100).

المطلب الثالث:

الاهتمام والعناية بالمتلقين

إن من أقوى أسباب توثيق عرى العلاقة بين طرفي العملية التربوية ما يشعر به المتلقي من إبداء المربي الاهتمام به ورعاية شؤونه والحرص على مصلحته، مثل تفقد الأحوال، والاستشارة، والعدل في التعامل، والاغضاء عن الهفوات، ومراعاة الفوارق، والملاطفة في الخطاب.

– العناية تفقد الأحوال: كان رسول الله ﷺ يتفقد أحوال أصحابه، ومن أبرز صورته سؤاله ‘ جابراً ~ عن أحواله؛ حيث استشهد أبوه دفاعاً عن الدين، مُخلفاً سبع بنات، مع حاجته وصغر سنّه، فأراد رسول الله ﷺ تسليته، وتقديم يد العون له. (1) قال ابن حجر (ت852هـ): وفيه -أي الحديث- تفقد الإمام والكبير لأصحابه، وسؤاله عما ينزل بهم، وإعانتهم بما تيسر من حال أو مال أو دعاء. (2) وعن أبي هريرة ؓ: «أن رجلاً كان يقفُ المسجدَ أو امرأةً سوداءَ، فماتت أو ماتت ليلاً، فدفنه الصحابة، ففقدها النبي ﷺ، أو فقده، فسأل عنها أو عنه، فقالوا مات، قال أفلا كنتم آذنتُموني، فكأنهم صغروا أمرها أو أمره، فقال لؤلؤني على قبره قبرها، فدلوه فصلى عليها». (3)

– الاستشارة: ولها أثر كبير في تأليف القلوب، وتطبيب النفوس، روي عن ابن عباسٍ ؓ، قال: لَمَّا نَزَلَتْ: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران:159] قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ غَنِيَانِ عَنْهُمَا، وَلَكِنْ جَعَلَهَا اللَّهُ رَحْمَةً لِأُمَّتِي، فَمَنْ شَاوَرَ مِنْهُمْ لَمْ يُعَدَمْ رُشْدًا، وَمَنْ تَرَكَ الْمَشُورَةَ مِنْهُمْ لَمْ يُعَدَمْ عَنَاءً». (4)

– العدل في المعاملة: أرسى الإسلام دعائم العدالة، فدعا إلى إقامة العدل: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ} [النحل:90]، مع القريب أو البعيد: {وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} [الأنعام:152]، حتى مع الأعداء: {وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ آلَا تَعْدِلُوا} [المائدة:8]. وفي هذا المعنى يقول رسول الله ﷺ: «المُسلِمُ أخو المُسلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ...». (5) ويقول أيضاً: «مَا مِنْ عَبْدٍ اسْتَرْعَاهُ اللَّهُ رِعِيَةً فَلَمْ يَحْطَ بِصِيحَةٍ إِلَّا لَمْ يَجِدْ رَاحَةَ الْجَنَّةِ». (6) وقد ضرب رسول الله ﷺ أروع الأمثلة في تحقيق النصفة من نفسه ومع الآخرين، والأمثلة كثيرة ومعروفة. ومن شدة تحريه كان يعتذر إلى الله ﷻ عما لا طاقة له به، قالت السيدة عائشة: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَفْسِمُ فَيَعْدِلُ وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ هَذَا

(1) عن جابرٍ ~ قال: «كنت مع النبي ﷺ في غزاة فأنبطاً بي جملي وأعينا فأتى عليّ النبي ﷺ، فقال: ما شأنك؟ قلت: أبطأ عليّ جملي وأعينا فتخللت فنزل بحجته يخجبه، ثم قال: اركب فركبت فلقد رأيتُه أكنه عن رسول الله ﷺ، قال تزوجت؟ قلت نعم، قال بكرًا أم نبيًا، قلت بن نبيًا، قال أفلا جارية تلاحقها وتلاحقك؟ قلت: إن لي أخوات فأخبيث أن أتزوج امرأة تخمهن وتمشطنهن وتقوم عليهن، قال: أما إنك قادم فإذا قدمت فالكيس الكيس ثم قال، أتبيع جملك؟ قلت نعم، فاشتره مني بأوقية ثم قدم رسول الله ﷺ قبلي وقدمت بالعداة فجمنا إلى المسجد فوجدته على باب المسجد، قال آلان قدمت؟ قلت نعم، قال فدع جملك فادخل فصل ركعتين فدخلت فصليت فأمر بلال أن يرن لي أوقية، فوزن لي بلال فأزجج في الميزان، فأنطقت حتى ولئت، فقال ادع لي جابراً، قلت آلان يرد عليّ الجمل ولم يكن شيء أنبعض إلى منه، قال خذ جملك ولك ثمنه». البخاري، كتاب البيوع، باب شراء الدواب والحمر، (1991). مسلم بلفظ مختلف، كتاب المساقاة، باب بيع البعير واشتائه وكوبه (4182).

(2) فتح الباري (321/5).

(3) البخاري، كتاب الصلاة، باب كنس المسجد (446). مسلم، كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر (956).

(4) قال البيهقي: ويروى بعض هذا المعنى عن الحسن البصري من قوله، وهو مرفوعاً غريب. شعب الإيمان (41/10). وقال ابن حجر: غريب. فيض القدير، المناوي (442/5).

(5) عن عبد الله بن عمر ؓ، البخاري، كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (2310). مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (2580).

(6) البخاري، عن معقل بن يسار، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصخ (6732).

قَسَمِي فِيمَا أَمَلِكُ فَلَا تَلْمَنِي فِيمَا تَمَلِكُ وَلَا أَمَلِكُ». يَعْنِي الْقَلْبَ. (1) كما كان يرفض الشهادة على جور. (2) فلا خير في شعارات تُرفع مهما سمّت، إن لم يكن لها نصيب من التطبيق، وعلى الجميع وبنفس الدرجة، في صغار الأمور وكبارها، قال أنس ~: «أَهْدَتْ بَعْضُ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ' إِلَى النَّبِيِّ ' طَعَامًا فِي قِصْعَةٍ فَضَرَبَتْ عَائِشَةُ الْقِصْعَةَ بِيَدِهَا فَأَلْقَتْ مَا فِيهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ' : طَعَامٌ بَطْعَامٍ وَإِنَاءٌ بِإِنَاءٍ». (3) وَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ فُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمُخْرُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ ... قَالَ ' : إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكَوهُ وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ وَإِيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا». (4)

— الاغضاء عن الهفوات: ليس من الحكمة تتبع السقطات أو المحاسبة على الهفوات، فكل إنسان خطأ، بل من الخير في كثير من الأحوال الصّفح والعتف، (5) من ذلك كما قال رسول الله ﷺ: «أَقْبِلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَنَرَاتِهِمْ إِلَّا الْحُدُودَ». (6) قال الإمام الشافعي: وَذَوُو الْهَيْئَاتِ الَّذِينَ يُقَالُونَ عَنَرَاتِهِمْ مَا لَمْ يَكُنْ حَدًّا لِلَّذِينَ لَيْسُوا يُعْرِفُونَ بِالشَّرِّ، فَيَزِلُّ أَحَدُهُمُ الزَّلَّةَ. (7) والأولى في مثل تلك الحالات الموازنة بين المصالح، وذلك تبعاً للأحوال والأشخاص، فربما أفضت المواخذة إلى أشد مما يُرجى منها، والعكس صحيح. فعن أنس بن مالك ~، أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ فَطَفِقَ يُعْطِي رَجُلًا مِنْ فُرَيْشِ الْمِائَةِ مِنَ الْإِبِلِ، فَقَالُوا يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي فُرَيْشًا وَيَدَعُنَا وَسَيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ.... فَقَالَ مَا كَانَ حَدِيثٌ بَلَّغَنِي عَنْكُمْ.... فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنِّي أُعْطِي رَجُلًا حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِكُفْرٍ... (8)

— ومن أقوى ما يؤثر في النفوس ما يجده المتلقي من مقابلة الإساءة بالإحسان، والجهل بالعلم، والشدة باللين، والغلظة بالعتف، قال أنس ﷺ: «كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ' وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظٌ الْحَاشِيَّةِ فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَدَّبَهُ جَدْبَةً شَدِيدَةً حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَانِقِ النَّبِيِّ ﷺ فَقَدْ أَتَرْتُ بِهِ حَاشِيَةَ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَدْبَتِهِ ثُمَّ قَالَ مَرُّ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ فَأَلْتَقَتُ إِلَيْهِ فَضَحِكْتُ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعِطَاءٍ». (9) قال ابن بطال (ت449هـ): في الحديث ما جيل عليه من

(1) أبو داود، كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء (2136).

(2) عن النعمان بن بشير قال: «تصدق عليّ أبي ببعض ماله فقالت أمي عمره بنت زواحة لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فانطلق أبي إلى النبي ﷺ ليشهده عليّ صدقتي فقال له رسول الله ﷺ: أفعلت هذا بولدك كلهم، قال لا، قال: اتقوا الله واغلبوا في أولادكم. فرجع أبي فردّ تلك الصدقة». وفي رواية: «إني لا أشهد عليّ جوراً». البخاري، كتاب الهبة وفضلها، باب الإسهاد في الهبة (2447). مسلم، واللفظ له في كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة (1623).

(3) الترمذي، وقال: حسن صحيح. كتاب الأحكام، باب من جاء فيمن يكسر له الشيء ما يحكم له من مال الكاسر (1359).

4- البخاري، كتاب الأنبياء، باب أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم (3288). مسلم في الحدود، باب قطع السارق الشريف (1688).

(5) وفي هذا المعنى يقول أبو تمام (ت231هـ) "الدر الفريد وبيت القصيد (53/9):"

لَيْسَ الْعَيْبُ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمٍ ... لَكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ الْمُتَعَابِي

(6) روت السيدة عائشة. أبو داود، كتاب الحدود، باب في الحدّ يُشْتَعُ فِيهِ (4377). المسند (25474). قال الإمام النووي: وَأَمَّا السُّرُّ الْمُنْدُوبُ إِلَيْهِ هُنَا فَالْمُرَادُ بِهِ السُّرُّ عَلَى ذَوِي الْهَيْئَاتِ وَنَحْوِهِمْ مِمَّنْ لَيْسَ مَعْرُوفًا بِالْأَذَى وَالْفُسَادِ، فَأَمَّا الْمَعْرُوفُ بِذَلِكَ فَيَسْتَحْتَجِبُ الْأَيْشُرُ عَلَيْهِ، بَلْ تُرْفَعُ قَضِيَّتُهُ إِلَى وَلِيِّ الْأَمْرِ إِنْ لَمْ يَخْفَ مِنْ ذَلِكَ مَفْسَدَةً؛ لِأَنَّ السُّرُّ عَلَى هَذَا يُطْبَعُ فِي الْإِبْدَاءِ وَالْفُسَادِ، وَاتِّهَاكِ الْحُرْمَاتِ، وَجَسَارَةِ غَيْرِهِ عَلَى مِثْلِ فِعْلِهِ. شرح النووي على مسلم (135/16).

(7) السنن الصغرى، للبيهقي (418/7).

(8) البخاري، كتاب الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ (2978). مسلم كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتَصْبِيرُ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ (2483). قال بدر الدين العيني (ت855هـ): وفيه دلالة على قوة حلمه وشدة صبره على الأذى في النفس والمال، والتجاوز عن جفاء من يُريد تألّفه على الإسلام، وليتأسى به الولاة بعده في حلقه الجميل من الصّفح والإغضاء والدفع بالي هي أحسن. عمدة القاري (312/21).

(9) البخاري، كتاب الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يُعْطِي الْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبَهُمْ (2978). مسلم، باب إعطاء من سأل بفخشي وغلظة (2476).

شريف الأخلاق، وعظيم الصبر على جفاء الجهال، والصّح عنهم، والدّفع بالتّي هي أحسن، إلا ترى أنّه ضحك حين جبهه الأعرابي، ثم أمر له بعتاء ولم يواخذه. وقال المهلب بن أبي صفرة (ت435هـ): فيه من صبر السلاطين والعلماء لجهال السّؤال، واستعمال الحلم لهم، والصبر على أذاهم في المال والنفس. (1)

- ويُنَجّه على المرّبي التّحلي بالصّبر، وتحمل الأذى، والتّجاوز عن المسيء، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «قسّم رسول الله ' قسماً فقال رجل: إنّها لقسمة ما أريد بها وجهه الله، قال: فأنيت النبي ' فسارزته، فعصّب من ذلك عصباً شديداً، واحمر وجهه حتى تمّئت أتي لم أذكره له، ثم قال: قد أودي موسى بأكثر من هذا فصبر». (2) قال ابن بطال (ت449هـ): فيه الإعراض عن الأذى إذا لم يُعِين قائلوه، والتّأسي بما تقدّم من الفضلاء في الصبر والحلم. (3)

- مراعاة الفروق والاختلافات: ليس من الحكمة معاملة الجميع بوتيرة الواحدة، بل من الخطأ الفادح عدم مراعاة الفروق والاختلافات، فالتّعامل يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال: من حداثة عهد بالدين، وقوة إيمان أو ضعفه، أو صغر أو كبر، ومن اللين والشدة، والصّفح والعقاب... فمن تُجدي معه طريقة لا تُجديه أخرى، ومن حسن معه الرّفق لا تحسن معه الشدة، (4) لكن لما كانت الطّباع إلى العنّف والحدة أميل كانت الحاجة إلى التّرجيب في جانب الرّفق أكثر؛ فلذلك كثر ثناء الشّرع على جانب الرّفق دون العنّف، وإن كان العنّف في محلّه حسناً، كما أنّ الرّفق في محلّه حسن. (5) قال ابن بطال (ت449هـ) معلقاً على حديث بول الأعرابي: فدل ذلك على استعمال الرّفق بالجاهل - فإنّه بخلاف العالم - وترك اللوم له والتّثريب عليه. (6) وعقد الإمام البخاري باباً بعنوان: "باب مداراة النّاس" أورد فيه أحاديث تشير إلى اختلاف المعاملة باختلاف الأشخاص؛ تحقيقاً لمصلحة أعلى، كأن لا يرتدوا، أو يكونوا سبباً في ردة غيرهم، أو للتدرج معهم بتأليف قلوبهم. (7)

- فرسول الله ' ألان القول لعبيّنة بن حصن؛ (8) لأنّه كما وصفه للسيدة عائشة: "أحمق مطاع، وإنّه على ما ترى لسيد قومه". (9) إضافة إلى ضعف إيمانه، فيخشى عليه الردة، وقد حصلت، أو يكون سبباً في ردة قومه؛ لنفوذ

(1) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (100/9) و(321/5). قال العيني: مطابقته للترجمة ظاهرة؛ لأنه أعطى لهذا الأعرابي مع إساءته في حقه تألفاً له. عمدة القاري (73/15).

(2) البخاري، كتاب الأدب، باب الصبر على الأذى (574/9). مسلم، واللفظ له، كتاب الزكاة، باب إعطاء من يخاف على إيمانه (249/5).

(3) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (322/5).

(4) قال المتنبّي كما في "خزانة الأدب وغاية الأرب للحموي" (200/1):

ووضع الندى في موضع السيف بالاعلا... مضرب كوضع السيف في موضع الندى

(5) إحياء علوم الدين (186/3).

(6) شرح صحيح البخاري (226/9).

(7) المداراة: ملاءمة الناس وحسن صحتهم واحتيماتهم لئلا يتفروا عنك. النهاية في غريب الأثر (115/2). وقال الحافظ: المراد به الدفع برؤي. فتح الباري (528/10). قال ابن بطال: المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس ولين الكلمة وتترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة. وظن بعضهم أنّ المداراة هي المداهنة فعلاً؛ لأنّ المداراة مندوب إليها والمداهنة محرمة، والفرق أنّ المداهنة من الدهان وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه، ومسترها العلماء بأنّه معاشرتة الفاسق وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه، والمداراة هي الرّفق بالجاهل في التّعليم وبالفاسق في التّهي عن فعله، وتترك الإغلاظ عليه حيث لا يظهر ما هو فيه، والإنكار عليه بلطف القول والفعل، ولا سيما إذا خيخ إلى تألّفه ونحو ذلك. شرح صحيح البخاري، بتصرف (305/9). ينظر: فتح الباري (528/10).

(8) عن السيدة عائشة، «أنّه استأذن على النبي صلى الله عليه وآله رجل فقال: ائذنوا له فيمن ابن العشيّرة أو يئسن أخو العشيّرة فلما دخل ألان له الكلام فقلت له يا رسول الله قلت ما قلت ثمّ ألتك له في القول فقال أيّ عايشة إنّ شرّ النّاس منزلة عند الله من تزكّة أو ودعه النّاس اتقاء فحشيه». البخاري، كتاب الأدب، باب المداراة مع النّاس (5780). مسلم، كتاب البرّ والصّلة، باب مداراة من يتقى فحشيه (6761).

(9) سنن الدارقطني (218/3).

فيهم.⁽¹⁾ كما راعى ' شأن من كان في خلقه حدة، وفي لسانه بذاءة، تألقاً لقلبه، فعندما دخل عليه مخزماً بن نوفل، قال له وهو يناوله ثوب ديباج: «... يا أبا المسور حَبَّاتُ هَذَا لَكَ. قَالَ: فَتَنَظَّرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: رَضِيَ مَخْرَمَةٌ. وكان في خُلُقِهِ شِدَّةٌ». ⁽²⁾ وفي الوقت الذي أعطى فيه رسول الله ' من يخاف على إيمانه، حرَمَ من قَوِي إيمانه؛ لحكمة تقتضي ذلك. قال: «إِنِّي لِأَعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ حَشْبَةً أَنْ يُكَبَّ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ». ⁽³⁾ كما قسا ' على معاذ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ قُوَّةِ إِيْمَانِهِ. ⁽⁴⁾

— المَلَاظِفَةُ وَالْمُبَاسَطَةُ فِي الْكَلَامِ: لَا يَتَحَقَّقُ كِمَالُ الْإِتْبَاعِ إِلَّا إِذَا وَجِدْتَ الْمَحَبَّةَ، وَلَا يَحْصُلُ ذَلِكَ إِلَّا بِإِزَالَةِ الْكُلْفَةِ بَيْنَ الْمُعَلِّمِ وَالْمُتَعَلِّمِ — مع حفظ مكانة المُعَلِّمِ — وإِضْفَاءُ رُوحِ الدَّعَابَةِ وَالْإِنْبِسَاطِ. ⁽⁵⁾ قَالَ جَرِيرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ: «مَا حَبَّبَنِي رَسُولُ اللَّهِ ' مُنْذُ أَسَلَّمْتُ وَلَا رَأَيْتُ إِلَّا ضَحِكًا». ⁽⁶⁾ وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ' يَنْبَسِطُ مَعَ أَصْحَابِهِ، يَجْلِسُ إِلَيْهِمْ، وَيَسْمَعُ مِنْهُمْ. قَالَ سِمَاكُ بْنُ حَرْبٍ، قُلْتُ لِجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: «أَكُنْتُ نُجَالِسُ رَسُولَ اللَّهِ ' ؟ قَالَ نَعَمْ كَثِيرًا، كَانَ لَا يَقُومُ مِنْ مُصَلَاةٍ الَّذِي يُصَلِّي فِيهِ الصُّبْحُ أَوْ الْعِدَاةَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فَإِذَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ قَامَ وَكَانُوا يَتَحَدَّثُونَ فَيَأْخُذُونَ فِي أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ فَيُضْحَكُونَ وَيَتَبَسَّمُونَ». ⁽⁷⁾

⁽¹⁾ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضُ: هَذَا الرَّجُلُ هُوَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، وَلَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ حِينَئِذٍ، وَإِنْ كَانَ قَدْ أَظْهَرَ الْإِسْلَامَ، فَأَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُبَيِّنَ خَالَهُ لِيَعْرِفَهُ النَّاسُ، وَلَا يَغْتَمَّرَ بِهِ مِنْ مَمِّ يَعْرِفُ خَالَهُ. قَالَ: وَكَانَ مِنْهُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَيَعُدُّهُ مَا دَلَّ عَلَى ضَعْفِ إِيْمَانِهِ، وَارْتِدَّ مَعَ الْمُزْتَدِينَ، وَجِيءَ بِهِ أُسِيرًا إِلَى أَبِي بَكْرٍ ﷺ. شرح النووي على مسلم (144/16). ثُمَّ رَجَعَ وَأَسْلَمَ وَحَضَرَ بَعْضَ الْمُتُوحِّجِ فِي عَهْدِ عُمَرَ ﷺ، وَقِيلَ مَخْرَمَةٌ. فتح الباري، (455/10). وَإِنَّمَا قِيلَ فِي مَخْرَمَةٍ مَا قِيلَ لِمَا كَانَ فِي خُلُقِهِ مِنَ الشَّدَةِ فَكَانَ لِيَذِيكَ فِي لِسَانِهِ بَذَاءَةٌ، وَأَمَّا عُيَيْنَةُ فَكَانَ إِسْلَامُهُ ضَعِيفًا وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ أَهْوَجَ فَكَانَ مُطَاعًا فِي قَوْمِهِ. فتح الباري (529/10).

⁽²⁾ يُنْظَرُ: شرح النووي على مسلم (148/7). عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَهْدَيْتَ لَهُ أُقْبِيَّةً مِنْ دِينَاجٍ مُزْرَرَةٌ بِالذَّهَبِ فَفَقَسَمَهَا فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَعَزَلَ مِنْهَا وَاجِدًا لِمَخْرَمَةٍ بِنِ تَوْفَلٍ فَجَاءَ وَمَعَهُ ابْنُهُ الْمَسُورُ بْنُ مَخْرَمَةَ فَمَامَ عَلَى الْبَابِ فَقَالَ ادْعُهُ لِي فَسَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ صَوْتَهُ فَأَخَذَ قَبَاءً فَتَلَقَّاهُ بِهِ وَاسْتَقْبَلَهُ بِأَرْزَارٍ فَقَالَ يَا أَبَا الْمَسُورِ خَبَّاتُ هَذَا لَكَ...». البخاري، باب قِسْمَةِ الْإِيمَانِ مَا يُعَدُّ عَلَيْهِ وَيُجْبَأُ لِمَنْ لَمْ يَحْضُرْهُ أَوْ غَابَ عَنْهُ (2959). مسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من سأل بشخصي وغلظة (2478).

⁽³⁾ قَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ ﷺ: أُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ' زَهْطًا وَأَنَا جَالِسٌ فِيهِمْ قَالَ فَتَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ' مِنْهُمْ رَجُلًا لَمْ يُعْطِهِ وَهُوَ أَحَبُّهُمْ إِلَيَّ فَكُنْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ' فَسَارَزْتُهُ فَكُنْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَكَ عَنْ فُلَانٍ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَاهُ مُؤْمِنًا...». البخاري، كتاب الإيمان، باب إِذَا لَمْ يَكُنْ الْإِسْلَامُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَكَانَ عَلَى الْإِسْتِشْلَامِ أَوْ الْحَوْفِ (1478). مسلم، باب تَأَلَّفِ قَلْبٍ مِنْ بَحَافٍ عَلَى إِيْمَانِهِ لِضَعْفِهِ وَالثَّغْيِ عَنِ الْقَطْعِ بِالْإِيْمَانِ مِنْ غَيْرِ ذَلِيلٍ قَاطِعٍ (396).

⁽⁴⁾ قَالَ جَابِرٌ ﷺ: «أَقْبَلَ رَجُلًا يَبَاضِيحِينَ وَقَدْ حَنَخَ اللَّيْلَ فَوَافَقَ مُعَاذًا يُصَلِّي فَتَرَكَ نَاضِيحَهُ وَأَقْبَلَ إِلَى مُعَاذٍ فَقَرَأَ بِسُورَةِ الْبَقَرَةِ أَوْ النَّسَاءِ، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ وَتَلَعَهُ أَنْ مُعَاذًا نَالَ مِنْهُ فَأَتَى النَّبِيَّ ' فَشَكَا إِلَيْهِ مُعَاذًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ' : يَا مُعَاذُ أَفَتَأْتَانِ أَنْتَ أَوْ أَقَاتِنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَوْلَا صَلَّيْتُ بِسَمِّهِ اسْمِ رَبِّكَ، وَالشَّمْسُ وَضَحَاهَا، وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى، فَإِنَّهُ يُصَلِّي وَرَأَيْتُ الْكَبِيرُ وَالضَّعِيفُ وَدُوَّ الْحَاجَّةِ». البخاري، كتاب الصلاة، باب مَنْ شَكَا إِمَامَهُ إِذَا طَوَّلَ (673). مسلم، كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء (465).

⁽⁵⁾ الدَّعَابَةُ: المَلَاظِفَةُ فِي الْقَوْلِ وَالْمَمَازِحَةِ. وَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا» يِعَارِضُهُ قَوْلُهُ: «لَا تُنَارِ أَحَاكَ وَتَمَازِحُهُ» وَالْمُجْمَعُ بَيْنَهُمَا: أَنَّ الْمُنْهَبِيَّ عَنْهُ مَا فِيهِ إِفْرَاطٌ أَوْ مَدَاوِمَةٌ عَلَيْهِ لِمَا فِيهِ مِنَ الشُّغْلِ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَالتَّفَكُّرِ فِي مُهَمَّاتِ الدِّينِ وَيَقُولُ كَثِيرًا إِلَى قِسْوَةِ الْقَلْبِ وَالْإِبْدَاءِ وَالْحَفْدِ وَشَقُوطِ الْعَهَابَةِ وَالْوَقَارِ، وَالَّذِي يَسْلَمُ مِنْ ذَلِكَ هُوَ الْمُبَاحُ، فَإِنَّ صَادَفَ مُضْلِحَةً مِثْلَ تَطْيِيبِ نَفْسِ الْمُخَاطَبِ وَمُؤَانَسَتِهِ فَهُوَ مُسْتَحَبٌّ. فتح الباري (526/10). قال الغزالي (ت505هـ): إِنَّ قَدْرَتَ عَلَى مَا قَدَرَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، وَهُوَ أَنْ تَمْرَحَ وَلَا تَقُولَ إِلَّا حَقًّا، وَلَا تُؤْذِي قَلْبًا، وَلَا تُفَرِّطَ فِيهِ، وَتَقْتَصِرَ عَلَيْهِ أحيانًا عَلَى التَّدْوَرِ فَلَا حَرَجَ عَلَيْكَ فِيهِ، وَلَكِنْ مِنَ الْغَلَطِ الْعَظِيمِ أَنْ يَتَخَذَ الْإِنْسَانَ الْمَرَاخَ حِرْفَةً يَواظِبُ عَلَيْهَا، وَيُفَرِّطُ فِيهِ. إحياء علوم الدين (128/3).

⁽⁶⁾ الْبُخَارِيُّ، كِتَابُ فِضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ دِكْرِ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَحْلِيِّ ﷺ (3611). مسلم، كِتَابُ فِضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ مِنْ فِضَائِلِ جَرِيرِ (2475). قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: وَفِيهِ أَنَّ لِقَاءَ النَّاسِ بِالتَّبَسُّمِ وَطَلَاقَةَ الْوَجْهِ مِنْ أَحْلَاقِ النَّبِيِّ، وَهُوَ مَنْافٍ لِلتَّكْبَرِ، وَحَالَتْ لِلْمُودَةِ. شرح صحيح البخاري (193/5).

⁽⁷⁾ مسلم، كتاب الصلاة، باب فضيل الجلوس في مصلاة بعد الصبح وفضل المساجد (1557).

وكان يُبادلهم أطراف الحديث، في الأمور المختلفة، قال خَارِجَةُ بن زَيْد بن ثَابِتٍ، دَخَلَ نَفَرَ عَلَى زَيْدٍ، فَقَالُوا: حَدِّثْنَا عَنْ بَعْضِ أَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ ، فَقَالَ: وَمَا أَحَدْتُمْ؟ كُنْتُ جَارَهُ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ الْوَحْيُ أُرْسِلَ إِلَيَّ، فَكَتَبْتُ الْوَحْيَ، وَكَانَ إِذَا ذَكَرْنَا الْآخِرَةَ ذَكَرَهَا مَعَنَا، وَإِذَا ذَكَرْنَا الدُّنْيَا ذَكَرَهَا مَعَنَا، وَإِذَا ذَكَرْنَا الطَّعَامَ ذَكَرَهُ مَعَنَا، فَكُلُّ هَذَا أَحَدْتُمْ عَنْهُ. (1)

وكان ' يداعبهم، الكبار منهم والصغار، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ ~، قال: قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تَدَاعِبُنَا، قَالَ: «إِنِّي لَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا». (2) وَقَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لِيَخَالِطُنَا حَتَّى يَقُولَ لِأَخِي لِي صَغِيرٍ يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّعَيْرُ». (3)

كما كان يُمازحهم؛ لإدخال السرور على قلوبهم، فعن أَنَسٍ ~ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ احْمِلْنِي. قَالَ النَّبِيُّ : «إِنَّا حَامِلُونَكَ عَلَى وَادٍ نَاقَةٍ، قَالَ وَمَا أَصْنَعُ بَوْلِدِ النَّاقَةِ فَقَالَ النَّبِيُّ : « وَهَلْ تَلِدُ الْإِبِلَ إِلَّا التُّوقَ». (4) إِلَّا أَنْ الْمِرَاحَ يَجِبُ أَلَّا يَخْرُجَ عَنِ إِطَارِ الْحَقِّ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ : « أَنَا زَعِيمٌ بَيِّنَاتٍ فِي رِضِّ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا وَبَيِّنَاتٍ فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكُذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا». (5)

المطلب الرابع:

التعليم بالقدوة

التعليم بالقدوة أوقع في نفس المتلقي وأبلغ من التلقين المباشر وإصدار الأوامر. ومن سماته: تحلي المرابي بالصفات الفاضلة، وتطبيق ما يدعو إليه، والزجوع عن الخطأ. وإنَّ لِمَا يَتَحَلَّى بِهِ الْمُرَابِي مِنْ صِفَاتِ خُلُقِيَّةٍ وَسُلُوكٍ قَوِيمٍ، أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي نَفُوسِ الْمُتَلَقِّينَ، وَوَقَعَ عَمِيقٌ فِي تَوْجِيهِ سُلُوكِهِمْ، وَقَدْ تَرَبَّعَ رَسُولُ اللَّهِ ، فَوْقَ عَرْشِ الْأَخْلَاقِ، كَمَا وَصَفَهُ رَبُّهُ: {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: ٤]. ومع هذا أمره الله ﷺ بخفض الجناح لأصحابه: {وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الشعراء: ٢١٥]، ولين الجانب لهم: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ} [آل عمران: 159]. وبين القرآن الكريم مقدار محبة رسول الله ' لأصحابه، وعظم شفقتهم بهم، ومدى حرصه عليهم، في آيةٍ واحدةٍ: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ١٢٨]. بل هو القدوة المطلقة والأسوة الكاملة: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن. مجمع الزوائد (14199).

(٢) البخاري، كتاب الأدب، باب الإيسناط إلى الناس والدعاة مع الأهل (5778). الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المراح (1990). المسند (8723).

سنة البيهقي الكبرى (20962).

(٣) الترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في المراح، وقال: حسن صحيح (1989). قال الحافظ: في هذا الحديث عدّة فوائد جمعتها ابن القاصّ الفقيه الشافعيّ في جزءه مُفْرَدًا، وَذَكَرَ فِي أَوَّلِ كِتَابِهِ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ عَابَ عَلَى أَهْلِ الْحَدِيثِ أَنَّهُمْ يَزُودُونَ أَشْيَاءَ لَا فَايِدَةَ فِيهَا، وَمَثَلُ ذَلِكَ بِحَدِيثِ أَبِي عُمَيْرٍ هَذَا، قَالَ: وَمَا ذَرَى أَنَّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ مِنْ وَجْهِهِ الْفَقْهُ وَفُنُونِ الْأَدَبِ وَالْفَايِدَةِ سِتْرَيْنِ وَجْهًا. لَخَصَّتْهَا مُسْتَوْفِيًا مَقَاصِدَهُ. وَفِيهِ: حِوَارِ الْمُمَازَخَةِ وَتَكْرِيرِ الْمَرْحِ، وَأَنَّهَا إِنْبَاخَةٌ شَمَّةٌ لَا رُخْصَةٌ، وَأَنَّ مُمَازَخَةَ الصَّحْبِيِّ الَّذِي لَمْ يَمُتَّزْ حَائِزَةً... وَفِيهِ تَرْكُ التَّكْبُرِ وَالتَّرْتُّع... وَفِيهِ حِوَارِ الْإِسْتِدْلَالِ بِالْعَيْنِ عَلَى حَالِ صَاحِبِهَا، إِذْ اسْتَدَلَّ ﷺ بِالْحُزْنِ الطَّاهِرِ عَلَى الْحُزْنِ الْكَامِنِ حَتَّى حَكَّمَ بِأَنَّهُ حَزِينٌ فَسَأَلَ أَنَّهُ عَنْ حَزْنِهِ. وَفِيهِ التَّلَطُّفُ بِالصَّدِيقِ صَغِيرًا كَانَ أَوْ كَبِيرًا، وَالسُّؤَالُ عَنْ خَالِهِ... وَفِيهِ مَعَاشَرَةُ النَّاسِ عَلَى قَدْرِ عُمْلِهِمْ... وَفِيهِ أَنَّ الْكَبِيرَ إِذَا زَارَ قَوْمًا وَاسَى تَيْبُهُمْ، فَإِنَّهُ صَافِحٌ أَنْسَاءً، وَمَرَاحٌ أَبَا عُمَيْرٍ، وَنَامَ عَلَى فِرَاشِ أُمِّ سَلِيمٍ، وَصَلَّى بِحِمٍّ فِي بَيْتِهِمْ حَتَّى نَالُوا كَلْمَهُمْ مِنْ تَرْكِهِ. فتح الباري (526/10).

(٤) أبو داود، كتاب الأدب، باب ما جاء في المراح (5000). السنن الكبرى للبيهقي، باب المراح (248/10). ونحوه: «أنت عَجُوزٌ إِلَى النَّبِيِّ ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: يَا أُمَّ فُلَانِ، إِنَّ الْجَنَّةَ لَا تُدْخَلُهَا عَجُوزٌ قَالَ: فَوَلَّكَ تَبْكِي فَقَالَ: أَخْبِرُونَهَا أَنَّهَا لَا تُدْخَلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: {إِنَّا أَنشَأْنَا لَهُنَّ إِنشَاءً} [الواقعة: ٣٥]». عن الحسن مرسلاً. الشَّامِلُ الْمَحْمَدِيَّةُ لِلتَّرْمِذِيِّ (240). البعث والتشور للبيهقي (346). وأسند ابن الجوزي في "الوفاء بأحوال المصطفى" من

حديث أنس بسند ضعيف. المعنى عن حمل الأسفار (6).

(٥) أبو داود، عن أبي أمامة كتاب الأدب. باب فيحسني الخلق (4802).

اللَّهِ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا [الأحزاب: 21]. وقد نقل الصحابة كثيراً من صفاته ' الذالة على حسن خلقه، من ذلك:

— أنه ' كان يعود المريض، ويتبع الجنائز، ويجيب دعوة المملوك، ويركب الحمار، ولقد كان يوم خيبر ويوم فريضة على حمار خِطامه حبل من ليف، وتحتة إكاف من ليف. (1)

— ويجلس بينهم كأنه واحد منهم، قال أنس بن مالك ؓ: «بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ' فِي الْمَسْجِدِ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاحَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَكِيٌّ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ فَقُلْنَا هَذَا الرَّجُلُ الْأَبْيَضُ الْمُتَكِيُّ». (2) قال الحافظ ابن حجر (ت852هـ): «فِيهِ مَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَيْهِ مِنْ تَرَكَ التَّكْبِيرِ لِقَوْلِهِ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، أَيْ بَيْنَهُمْ. (3) وَأَقْرَبُ لَفْظُ الظَّهْرِ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ إِقَامَتَهُ بَيْنَهُمْ عَلَى سَبِيلِ الاستظهار بهم والاستناد إليهم، وتدل التنبيهة على أَنَّ ظَهْرًا مِنْهُمْ قَدَامَهُ وَآخِرَ وَرَاءَهُ، فَهُوَ مَحْفُوفٌ بِهِمْ مِنْ جَانِبَيْهِ. (4)

— ويسعي في حاجة أدناهم، قال أنس: «إِنَّ كَانَتْ الْأُمَّةُ مِنْ إِمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِبَيْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ». (5)

— ويصغي لحديثهم، من علا شأنه أو صغره، قال عدي بن حاتم ؓ: «لَمَّا بَلَغَنِي مَا يَدْعُو إِلَيْهِ ' مِنَ الْأَخْلَاقِ الْحَسَنَةِ، وَمَا قَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنَ النَّاسِ، خَرَجْتُ حَتَّى أَقْدُمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ' الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ وَعِنْدَهُ امْرَأَةٌ وَصَبِيَانِ، أَوْ صَبِيٍّ. وَذَكَرَ قُرْبَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ '. قال: فعرفت أنه ليس بمالك كسرى ولا قيصر، فسلمت عليه فقال: من الرجل؟ فقلت: عدي بن حاتم. فقام رسول الله '، فانطلق بي إلى بيته، فوالله إنّه لعامد بي إليه إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته، فوقف لها طويلاً فكلمته في حاجتها، فقلت في نفسي: والله ما هذا بمالك. (6)

— ويحرص على جبر خواطرهم، فعن أبي هريرة ~، عن النبي ﷺ قال: «لَوْ دُعِيْتُ إِلَى زِرَاعٍ أَوْ كُرَاعٍ لَأَجِبْتُ وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ زِرَاعٌ أَوْ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ». (7)

(1) عن أنس ~، المستدرک، وقال: صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه، ووافقه الذَّهَبِيُّ (3734).

(2) البخاري، کتاب العلم، باب ما جاء في العِلْمِ (63).

(3) فتح الباري (150/1).

(4) عمدة القاري (20/2).

(5) البخاري، کتاب الأدب، باب الکِبَرِ، (2724). المسند (11941). قال ابن حجر: وَقَدْ اشْتَمَلَ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي التَّوَاضُعِ لِلرَّكْبَةِ الْمُرَاةُ دُونَ الرَّجُلِ، وَالْأُمَّةُ دُونَ الْحُرَّةِ، وَحَيْثُ عَمَّ بِلَفْظِ الْإِمَاءِ أَيْ أُمَّةٌ كَانَتْ، وَيَقُولُهُ: "حَيْثُ شَاءَتْ" أَيْ مِنَ الْأُمُكِنَةِ. وَالتَّغْيِيرُ بِالأَخْذِ بِالأَيْدِ إِشَارَةٌ إِلَى غَايَةِ التَّصَرُّفِ حَتَّى لَوْ كَانَتْ حَاجَتَهَا خَارِجَ الْمَدِينَةِ وَالتَّمَسَّسَتْ مِنْهُ مُسَاعِدَتَهَا فِي تِلْكَ الْحَاجَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَهَذَا ذَالٌ عَلَى مَرِيدِ تَوَاضُعِهِ وَتَبَرُّعِهِ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْكِبَرِ ﷺ. فتح الباري (490/10).

(6) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحى الشَّامِي (ت942هـ) (ص 183/16). يُنظر: صحیح ابن حبان (183/16).

(7) البخاري، عن أبي هريرة، كتاب الهبة، باب القليل من الهبة (2429)، وكتاب النكاح، باب من أحب إلى كُرَاعٍ (5178). قال ابن بطال: هذا حضر منه لأمنته على المهادة، والصلوة، والتأليف، والتحاب، وإنما أخبر أنه لا يحقر شيئاً مما يُهدى إليه أو يُدعى إليه؛ لئلا يمتنع الباعث من المهادة لاحترام المهدي، وإنما أشار بالكرَاعِ وفرس الشاة إلى المبالغة في قبول القليل من الهدية. شرح صحيح البخاري (87/7). وفي الحديث دليل على تحسن خلقه، وتواضعه، وجبره لقلوب الناس، وعلى قبول الهدية، وإحابة من يدعو الرجل إلى منزله، ولو علم أن الذي يدعو إليه شيء قليل. فتح الباري (246/9). وقال أيضاً: وَخَصَّ الدَّرَاعَ وَالْكَرَاعَ بِالدُّكْرِ لِيَجْمَعَ بَيْنَ الْحَقِيرِ وَالْحَظِيرِ؛ لِأَنَّ الدَّرَاعَ كَانَتْ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِهَا، وَالْكَرَاعَ لَا قِيَمَةَ لَهُ، وَفِي الْمَثَلِ: "أَعْطَى الْعَبْدُ كُرَاعًا يَطْلُبُ مِنْكَ ذِرَاعًا". فتح الباري (200/5).

- ويعمل بما يدعو إليه: لا يتحقق التعلّم بالقُدوة إلا إذا عمل المُعلّم بما يدعو إليه من قيم أو سلوك. عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ~، قال: «كُنَّا يَوْمَ بَدْرٍ نَتَعَاقِبُ ثَلَاثَةَ عَلَى بَعِيرٍ، فَكَانَ عَلِيٌّ وَأَبُو لُبَابَةَ زَمِيلَي رَسُولِ اللَّهِ ، فَكَانَ إِذَا كَانَتْ عُقْبَةُ رَسُولِ اللَّهِ ، يَقُولَانِ لَهُ: ارْكَبْ حَتَّى نَمْشِيَ فَيَقُولُ: إِنِّي لَسْتُ بِأَعْنَى عَنِ الْأَجْرِ مِنْكُمْ، وَلَا أَنْتُمْ بِأَقْوَى عَلَى الْمَشْيِ مِنِّي». (1) وعن البراءِ ؓ قال: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ الْخَنْدَقِ وَهُوَ يَنْقُلُ التُّرَابَ حَتَّى وَارَى التُّرَابَ شَعَرَ صَدْرِهِ، وَكَانَ رَجُلًا كَثِيرَ الشَّعْرِ وَهُوَ يَرْتَجِرُ بِرَجَزِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ... (2) يَرْفَعُ بِهَا صَوْتَهُ». (3) قال المهلب بن أبي صفرة (ت435هـ): فيه امتهان الإمام نفسه في التحصين على المسلمين وما يتأسى به الناس ويفقدون به، وفيه شرف له، وتحريضٌ وتنشيطٌ، وإثارةُ النيةِ والعزمِ على العملِ والطاعة. (4)

- ويرجع عن الرأي إذا تبين له عدم صوابه: من كانت الحقيقة غايته، فلن يجد ضيراً من ترك ما ظنّه صواباً إلى ما تيقن صحته، أياً كان مصدره، (5) مما يترك أثراً إيجابياً في نفوس المتلقين. قال رافع بن خديج ؓ: قَدِمَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ وَهُمْ يَأْبُرُونَ النَّخْلَ، فَقَالَ: «مَا تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا كُنَّا نَصْنَعُهُ، قَالَ: لَعَلَّكُمْ لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا كَانَ خَيْرًا، فَتَرَكُوهُ فَنَقَصَتْ... فَقَالَ: إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ رَأْيٍ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ». وفي رواية: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ». (6) وفي أخرى: «وإن الظن يخطئ ويصيب، ولكن ما قلت لكم قال الله فلن أكذب على الله ﷻ». (7) ولم يجد غضاضة - إذا شك في أمر - من الاستئناس برأي الآخرين، فعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِيزَةَ ؓ: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى فِي الْفَجْرِ فَتَرَكَ آيَةَ فَلَمَّا صَلَّى قَالَ أَفِي الْقَوْمِ أَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ؟ قَالَ أَبِيُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ: نُسِخَتْ آيَةُ كَذَا وَكَذَا أَوْ نُسِيَتْهَا، قَالَ: نُسِيَتْهَا». (8) قال الخطيب البغدادي (ت463هـ): إذا أخطأ الفقيه، وتبين لصاحبه الإخذ عنه خطؤه، فإنَّ الصَّاحِبَ يَنْطَلِفُ فِي رَدِّهِ عَلَيْهِ. (9)

(1) المستدرک، وقال: صحیح الإسناد ولم یخرجاه. ووفقه الذَّهَبِيُّ (2453). صحیح ابن حبان. ذکر إباحتها تعاقب الجماعة البعير الواحد في الغزو عند عدم القدرة على غيره (4733).

(2) وهو قوله: اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَالَيْنَا * فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا وَبُيِّتَ الْأَقْدَامُ إِنَّ لَأَحْيَيْنَا * إِنَّ الْأَعْدَاءَ قَدْ بَغَوْا عَلَيْنَا إِذَا أَرَادُوا فِتْنَتَنَا أَتَيْنَا

(3) البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الرجز في الحُرْبِ وَرَفْعِ الصَّوْتِ فِي حُمْرِ الْحَنْدَقِ (صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ).

(4) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ). وقال أيضاً: فيه ابتداء الإمام وتولية المهنة في التحصين على المسلمين لينشط الناس بذلك على العمل؛ ولذلك ارتجز هذا الرجز ليدكرهم ما يعملون، ولمن يعملون ذلك، ويُعرفهم أنَّ الأمر أعظم خطراً من ابتداهم وتعبهم. (صَحَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ).

(5) مصدقه ما رواه أبو هريرة ؓ، عن رسول الله ﷺ، قال: «الْكَلِمَةُ الْحَكِيمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ فَحَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا». الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة وقال: حديث غريب لا تعرفه إلا من هذا الوجه. وإبراهيم بن الفضل المدني المخرومي يُضَعَّفُ في الحديث من قبل جفطه (2687). ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحكمة (4169). وكما قال الرسول ﷺ لأبي هريرة ؓ: «صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ ذَلِكَ شَيْطَانٌ». البخاري، كتاب بدء الخلق، باب فضل سورة البقرة، (3101).

(6) مسلم، كتاب الفضائل، باب وُجُوبِ امْتِثَالِ مَا قَالَهُ شَرَعاً دُونَ مَا ذَكَرَهُ ﷺ مِنْ مَعَاشِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ الرَّأْيِ. (2363). صحيح ابن حبان (23). المعجم الكبير (4424).

(7) ابن ماجه، كتاب الرهون، باب تَلْفِيحِ النَّحْلِ (2470). قوله ﷺ: (مَنْ رَأَى) أَي فِي أَمْرِ الدُّنْيَا وَمَعَاشِهَا لَا عَلَى التَّشْرِيعِ، فَأَمَّا مَا قَالَهُ بِاخْتِهَاذِهِ ﷺ، وَرَأَاهُ شَرَعاً يَجِبُ الْعَمَلُ بِهِ، وَلَيْسَ إِتَابُ النَّحْلِ مِنْ هَذَا النَّوعِ. شرح النووي على مسلم (116/15).

(8) المسند (15402). قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني، ورجاله رجال الصَّحِيح. مجمع الزوائد (85/2).

(9) الفقيه والمتفقه (984).

الخاتمة:

يُمثّل الجانب الوجداني أحد أهم طرق الاتصال التربوي، إذ لا يُمكن تحييد الانفعالات أو إهمالها، أو إقصاء المشاعر أو استبعادها، وبمقدار إيجابية تفعيل هذا الجانب أو سلبيته يكون انعكاس الأثر على المُتلقين. وقد نال الجانب الوجداني القُدح المُعلّى في هدي النبي، ومنهجه في التربية، وكيف لا يكون كذلك، وهو من عين الله ﷻ ترعاه: {وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا} [الطور:48]، ومن قد وصفه ربه ﷻ: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم:4]، وبين صفة بعثته: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} [الأنبياء:107]،⁽¹⁾ وعظيم محبته لأمته: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة:128]، وجليل شفقتة على النَّاس جميعاً: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} [الشعراء:3].⁽²⁾

وتتمثّل أهم النتائج في:

إبراز دور الجانب الوجداني في التربية، فالإنسان ما هو إلا جسد وروح تتخللهما أحاسيس ومشاعر، وكلّ له حاجاته. بيان سبق المنهج النبوي وتفوقه على سائر المناهج في العناية بهذا الجانب.

تمّ بعون الله وفضله.

(1) عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قيل: يا رسول الله، اذع على المشركين، قال: «إني لم أبعث لعناً، إنما بعثت رحمة». «إني إنما بعثت رحمة، ولم أبعث لعناً». مسلم، كتاب البر البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها. (2599). وعنه رضي الله عنه، قال: قال النبي: «إنما أنا رحمة مهداة». شعب الإيمان (528/2). قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد (500/17).

(2) عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: {فَمِنْهُمْ شَقِيحٌ وَسَعِيدٌ} [هود:105]، ونحو هذا من القرآن، قال: إن رسول الله: «كان يجرح أن يؤمن جميع الناس، ويتأبغوه على على الهدى، فأخبره الله أنه لا يؤمن إلا من سبق له من السعادة في الذكر الأول، ولا يضل إلا من سبق له من الشقاء في الذكر الأول»، ثم قال عز وجل: {لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}. المعجم الكبير للطبراني (13025). قال الهيثمي: زوارة الطبراني، ورحاله وتأموا، إلا أن علي بن أبي طلحة قال: لم يسمع من ابن عباس. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (85/7).

المراجع:

- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، دار الوطن، الرياض، ط/1(1420-1999).
- إجابة السائل شرح بغية الأمل، مُحَمَّد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تح: حسين بن أحمد السياغي و د. حسن الأهدل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/1 (1986).
- إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.
- أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، دار الفكر، دمشق.
- الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، ابن عبد البر، تح: سالم محمد عطا، ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت ط/1(2000).
- إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، تح: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت (1973).
- البحر المحيط في أصول الفقه، محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، تح: د. محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1(1421-2000).
- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، الشيخ عبدالرحمن حبنكه الميداني، دار القلم دمشق.
- البيان والتبيين، الجاحظ، تح: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط/1(1968).
- تاج العروس من جواهر القاموس، المرتضى الزبيدي، تح: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تحفة الأحوذى، المباركفوري، دار الكتب العلمية.
- تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب (1990).
- التعريفات، للجرجاني، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/1 (1405).
- التوقيف على مهمات التعاريف، محمد عبد الرؤوف المناوي، تح: د. محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ط/1 (1410هـ).
- التيسير بشرح الجامع الصغير، الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط/3 (1408هـ 1988م).
- جامع الأصول من أحاديث الرسول، ابن الأثير، تح: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني، ط/1.
- الجامع الصحيح، للبخاري، تح: د. مصطفى البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، ط/3 (1406-1987).
- جامع الأحاديث، السيوطي، تح: خالد عبد الفتاح شبل، دار الكتب العلمية، (2001).
- حاشية العطار على جمع الجوامع، حسن بن محمد بن محمود العطار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1(1420 - 1999).
- خزانة الأدب وغاية الأرب للحموي، ت: عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط/1(1987).
- روح المعاني، الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- سُبُل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصّالحي الشّامي، تح عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/1(1414-1993).
- سنن التّرمذي، تح: أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سنن الدارقطني، تح: مجدي بن منصور بن سيد الشوري، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.
- سنن الدارمي، دار الكتاب العربي، تح: خالد العلمي، بيروت، ط/1(1407).
- سنن أبي داود، دار الفكر، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- السنن الصّغرى، البيهقي، تح: عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية، بيروت (1410هـ).
- السنن الكبرى البيهقي، تح: عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة (1414-1994).
- سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي (207-275هـ) دار الفكر، بيروت.
- سنن النسائي الكبرى، تح: د. عبدالغفار البنداري، دار الكتب العلمية، بيروت (1411-1991).
- سنن النسائي (المجتبى) مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط/2تح: عبدالفتاح أبو غدة.
- سنن ابن ماجه، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، القاهرة.
- شرح الزّرقاني على موطأ الإمام مالك، محمد بن عبد العظيم الزّرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت (1411هـ).
- شرح ابن بطّال، علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي، تح: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط/2(1423-2003).
- شرح التبصرة والتذكرة، تح: د. ماهر ياسين الفحل، مكتبة المشكاة.
- شرح مختصر الروضة، نجم الدين الطّوفي، تح: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط/1(1407-1987).
- شعب الإيمان، البيهقي، تح: محمد السعيد بسيوني خليل، دار الكتب العلمية، بيروت (1410).
- الشّمائل الموحّدية والخصائل المصطفوية، التّرمذي، تح: سيد عباس الجلبي مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط/1(1412هـ).
- صحيح ابن حبان، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط/2(1414-1993).
- صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، تح: محمد فؤاد عبد الباقي.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، ط/2(1415).
- عبقرية محمد ﷺ، عباس محمود العقاد، مكتبة نهضة مصر، القاهرة.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/2(1995م).
- عيون الأخبار، ابن قتيبة الدّيّوريّ (213-276هـ)، دار الكتب المصرية.

- غريب القرآن. الراغب الأصفهاني، تح: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت، ط/2 (1420-1999).
- فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت (1379).
- الفصول في الأصول، الجصاص، تح: د. عجيل جاسم، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ط/1 (1405).
- الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، تح: عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي، السعودية، ط/2 (1421هـ).
- فيض القدير، عبد الرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط/1 (1356هـ).
- القاموس المحيط، الفيروزآبادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (1301).
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، تح: علي حسين البواب دار الوطن، الرياض (1418 - 1997).
- لسان العرب، ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، دار صادر، بيروت، ط/1.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، دار الريان للتراث، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت (1407).
- المُحدِّث الفاصل بين الراوي والواعي، الرامهرمزي، دار الفكر، بيروت، (1404هـ)، ط/3، ت: د. محمد عجاج الخطيب.
- مدارج السالكين، ابن قَيِّم الجوزية، تح: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/2 (1393 - 1973).
- المستدرک، الحاكم، تح: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط/1.
- المسند، أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط/2 (1420 - 1999).
- مسند البزار، أبو بكر البزار، تح: د. محفوظ الرحمن، مؤسسة علوم القرآن، بيروت (1409هـ).
- مسند أبي يعلى الموصلي، تح: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط/1.
- المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم، أبو نُعيم، الأصبهاني، تح: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/1 (1417 - 1996).
- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية.
- مصنف ابن أبي شيبة، أبو بكر ابن أبي شيبة، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، ط/1 (1409).
- مصنف عبد الرزاق الصنعاني، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/2 (1403).
- المعجم الأوسط، الطبراني، تح: طارق بن عوض الله، دار الحرمين، القاهرة.
- المعجم الصغير، الطبراني، تح: محمد شكور، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/1 (1405 - 1985).
- المعجم الكبير، الطبراني، مكتبة العلوم والحكم، تح: حمدي السلفي، الموصل، ط/2 (1404 - 1983).
- معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، إيران.

- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر (1979-1399).
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار، دار الدعوة، تح: مجمع اللغة العربية، القاهرة..
- معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصبهاني، تح: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن، الرياض (1419).
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار، بهامش إحياء علوم الدين. للحافظ العراقي، دار المعرفة، بيروت.
- المفهم لِمَا أَشْكَلَ مِنْ تَلْخِصِ كِتَابِ مُسْلِمَ، أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرْطُبِيُّ. تح: محيي الدين مستو، دار ابن كثير، دمشق، ط/2 (1420هـ).
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط/2(1392).
- الموطأ، الإمام مالك، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التّراث العربي، مصر.
- النّهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري، تح: طاهر أحمد الزّاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت (1979-1399).